

AL-MUZAFFARI

AL-THAQALAN

al-Thaqalan ...

DATE _____

ISSUED TO

[illegible]

٣٠ تومان

Princeton University Library



32101 072575515

محمد الحسين الطيفري

الثقلان

الكتاب والمعة

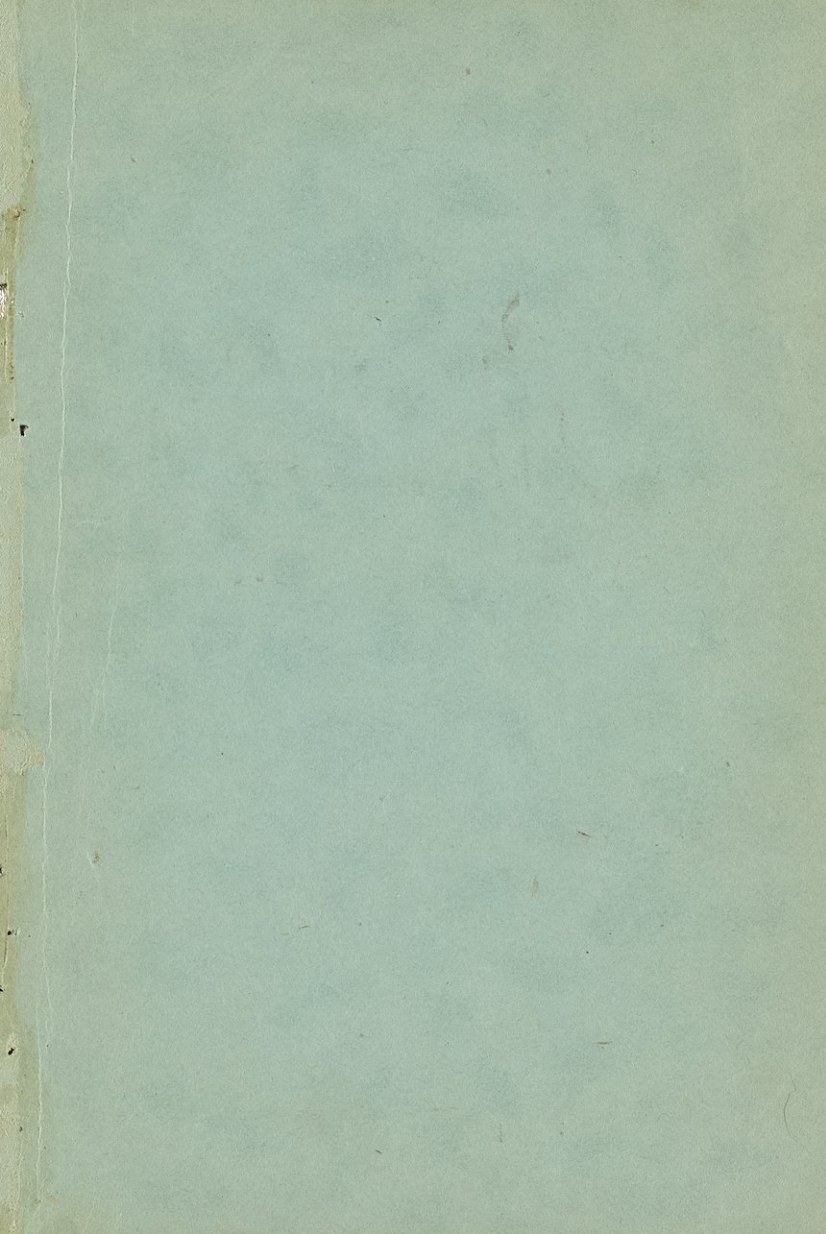
المجمع السديني
لمتقدي النشر

الكتاب
٥

حقوق الطبع محفوظة للمجمع

١٣٦٧ - ١٩٤٧

مطبعة الزهراء في النجف الاشرف



al-Muzaffarī, Muḥammad al-Ḥusayn

محمد الحسين المظفری

al-Thagālān

الشفلان

الكتاب والعرة

المجمع السديني

لمنتدى النشر

حقوق الطبع محفوظة للمجمع

١٣٦٧ - ١٩٤٧

مطبعة الزهراء في النجف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وله الحمد والمجد وصلاته وسلامه على صفوته محمد وعترته

كلمة المجمع الديني عن الكتاب والمؤلف

— ١ —

لقد قال قلم اللجنة ، وهو يقدم كتاب الشيعة والامانة
لفضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد حسين المظفر ان الشيخ مثال
من امثلة النشاط والحزم قليل النظير ، والحق انه كذلك وتشهد له
اضبارة محاضراته الاسبوعية في لجنة (المجمع الثقافي الديني
لمتدى النشر) التي تزخر بالوان من المحاضرات القيمة في
مواضيع شتى علمية وادبية وما هذه المحاضرات التي يقدمها
(المجمع) اليوم إلا بعض ما تحفل به تلك الاضبارة وحسبنا ان
نذكر اقراء باثره الخالد ﴿ الصادق ﴾ الذي خرج من المطبعة بجزئه

في العام الماضي ليدل الناس على ما وفق اليه الشيخ من الجلد
والمنابر على استقصاء تلخيص المراجع القديمة التي لا يقوى على
معاينة ما منيت به من تعقد في الاسلوب ورداءة في الطبع غير
القليل من الرجال ثم ليدلهم على تبخره وتدقيقه وعلى ذوقه في
توبيه وتنسيقه واخراجه بهذه الحلة التي تعجب الناظر
وتستهوي القارى .

— ٢ —

ورسالته هذه دليل آخر على نشاط الشيخ وصبره فحديث
الثقلين حديث مشهور مستفيض الزرود في كتب الحديث
المشهورة يمر به الناس فلا يحفلون لدلالته ولا يلتفتون اليها ولكن
الشيخ ينظر الحديث من وجهة عقلية ويتأمل فيه فيخرج من
تأملاته بمحاضرات ثلاث كبيرة يلقها على اعضاء المجمع في
اسبوع ثلاث ثم يعدها المجمع للطبع في ضمن ما اخرجه من
كتب قيمة واذا الحديث كما يرى الشيخ نص في معناه ولا يكتفي
بذلك بل يعرض لجميع ملابساته فيبرزها باسلوبه الشائق .

— ٣ — (RECAP)

ولعل القراء يعتبرون علينا لتأخرنا عن مواصلة طبع الكتب

— ٣ —

2272
6957

389

التي حصلت على رضى الكثير منهم فاعطوها في صحف العالم
العربي وفي رسائلهم التي كانت ان تملأ اضرارة كبيرة ولهم
الحق في هذا العتب لانهم لا يعلمون ما نعاينيه من تأخر الطباعة
وقلة المطابع وحبهم ان يعلموا ان اللجنة بعثت ببعض كتبها
الى مطابع بغداد ولكنها هي الاخرى - اعني مطابع بغداد -
لم تفسح المجال إلا بعد صبر طويل وسيوافي اقراء (كتاب المنطق)
لفضيلة المعتمد العام لجمعية منتدى النشر الشيخ محمد رضا المظفر قريبا
انشاء الله ولينتظر القراء ان نوافيهم بالكتب جهدا استطاعتنا مساعدتنا
المطابع في النجف ، مادام نشاط المجمع الثقافي يتضاعف في
كل لحظة بفضل رئيسه الجليل ادامه الله وكثر في رجال
العلم امثاله .

قلم اللجنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي الان واللاطف ، والرحمة والعطف ، وصلاته
وسلامه على صفوة البشر ، محمد وعترته الغرر ، الثقل الكريم ،
وعدل القرآن العظيم ، الذين من تمسك بهما اهتدى ، ومن
تخلف عنهما ضل وهوى .

التقوى

الكتاب والعترة

و بعد فان من حظوة المرء ان يتلقى دينه عن برهان
ودليل ، يوصلانه الى البصيرة واليقين ، وكان من توفيقه جل
شأنه ان هداي الى الاسلام دين الفطرة ، فيكنت عليه بالفطرة
الى ان ابصرت رشدي فقامت لدي على صحته براهين تفوت
حد الاحصاء ، وما كان العقل لينفرد بقبول هذا الدين المستقيم ،
بل كادت كل جارحة ان تلمس وتحس الايمان ايقانا بآياته .
وأحسب ان رسوخ هذه العقيدة في النفس وتوطئها

القلب ، ذلك التوطن الذي لا يدتغي عنه بدلا ولا تحويلا ، ولا
يعتريه تضعضع ولا صدوع ، طارئ من اشتراك الحواس
والجوانح والجوارح كلها مع العقل في قبول تلك العقيدة
وتلقيها .

وبتلك الفطرة كان ولأني لعتره نبي الرحمة والسلام
صلى الله عليه وآله وسلم وقولي بامامتهم ، فمن اليوم الذي نطق به لساني
باسم هذا النبي الامي - محمد - انطلق باسماء عترته لاسيما - علي -
وعلى تلك الفطرة درجت الى ان بلغت من الادراك والمعارف
مبلغا لا يقبل الله تعالى معها الايمان بلا برهان ، فانثالت علي
ادلة بالنزر منها تقتنع البصيرة بوجوب ذلك الولاء ، وصحة
تلك الامامة ، فكانت العقيدة مزججة من الاسلام والايمان ،
ومن النبوة والامامة .

وقد شد الكتاب والسنة أزر العقل على الذئاب الى
امامة العترة وولائهم ، وقد أوردت شطراً منها في كتاب
- عصور الشيعة - وجئت بالبرهان العقلي على هاتيك الامامة في
رسالة - الشيعة والامامة -

واستطردت في كتاب العصور حديث (اثني عشر)

وأوجزت البيان عن مدلوله ، دأبي فيما ذكرته هناك من آية
ورواية ، وكان هذا الحديث الشريف جديراً بـسط القول عن
منطوقه ، لما جمعه من مقاصد جليله - حقيقة بالرعاية والعناية ،
وأجد أن هذا الحديث وحده يعني البصير في ولأء العترة أهل
البيت وأمامتهم عن كل برهان سواه .

وما أكثر من كتب وما كتب في شأن هذا الحديث
ولكن سلاسله الفاظه ، وفصاحة بيانه ، لا تحوجك الى سبر
هاتيك الكتب البسطة ، في الحصول على ما يدل عليه هذا
الحديث الشريف ، بل التأوؤ بنظرة واحدة على فصيح عبارته
يرجعك وانت مطمئن القلب بما دل عليه ، واثق النفس بما افاده .
إن مما منح به نبينا العربي صلى الله عليه وآله وسلم
فصاحة المنطق ، وكان حقيقاً بتلك الفصاحة ، لانه وليد تلك
المدرسة التي جمعت فصحاء العرب ، المجتهدين في انتقاء البليغ
من الالفاظ ، وهو بعد في افصحهم بيتاً ، وأفضلهم معارف
ودراية ، ورضيع تلك البادية النقية ، التي تغذت الهواه
الطلق وحرارت البطنة بقله الغذاء ، فحفت منها الطبايع
والابدان وصفت منها الافكار والارواح ، وانت خير كيف تدبي

المرء هذه الخلال من مراقي الفصاحة والبلاغة .

ولو لم تكن له تلك الولادة وذلك الرضاع لكان له من النبوة المحال الارتفاع من بليغ البيان ، لأن النبي يجب ان يكون افضل اهل زمانه في شؤون الفضل ، فوجب ان يكون افصح الناس ليقوى بفصيح منطقه على تبليغ الناس وافهامهم ، واقامة الحجة عليهم بالبيان ، ولا تغلب حجة احد حجته ، ولا يعي امام اهل الفصاحة والبلاغة .

وان من مميزات بلاغته ان بيانه مفهوم لكل احد ، العام والخاص ، والعالم والجاهل ، والفصيح والالكن ، والذي والغبي ، خصوصاً فيما يريد به اعلام هؤلاء جميعاً ، واقامة الحجة عليهم كافة ، وقطع المعاذير منهم اجمع .

فحديث - الثقلين - من ذلك البيان البليغ الذي عني به اعلام الناس عامة ، عن أمر فيه حياة الأمة السياسية والدينية بل ان في الامامة حياة الأمة من كل ناحية ، أليس الامام قائماً بوظائف الرسول ، ولا تفوته إلا النبوة ، تلك المنزلة الخاصة ، قال امام المرجع لهايتك المقاصد السامية التي بشر بها الرسول

الاكرام في دعوته ، ودعا بها الناس الى اقتطاف ثمار السعادة عاجلة وآجلة ، وهذه المقاصد هي كل شيء في حياتي الامة ، فالامة في حاجة لا مناص عنها الى ذلك الامام المصلح في جميع شؤون الحياتين .

فلما كان هذا الحديث الشريف معنيا به الامة جمعاء حق ان يكون من فصاحة البيان وسلاسة التعبير صالحا كل الصلاح لأن تقوم به الحجة عليهم جميعا ، ويقوى السكل على فهم القصد منه من دون عناء وكلفة .

وكان هذا الحديث الكريم من هاتيك الادلة التي ارغمتني على الاعتقاد بامامة اولئك الفئة من اهل البيت ، وقادتني الى القول بعصمتهم ، والزمتني بولايتهم ، والاذعان بامور أخرى تخصهم ، كما سنفصح عن بعضها ، فرغبت ان اسبك ما وصل اليه فهمي لتلك المقاصد منه بيانا ينطق به لسان القلم ، فان كنت اصبت الهدف فتلك السعادة التي رجوتها من ارشاد نبي الرحمة والاصلاح (ص) ، وان اخطأ السهم الرمية فاجدر بك - ايها المؤمن - ان تأخذ بي الى سنن الطريق ، ومستقيم السنن ، فان المؤمن مرآة أخيه المؤمن ، ومن أحق من

الؤمنين بالنصيحة والتعاون للوصول الى معارج الحق ، وماضاتي
المنشودة إلا بلوغ الحق ، ونصرة الحق .

وها أنذا اضع ما فهمته من هذا الحديث الشريف أمام
بصرك و بصيرتك بعبارات ليس فيها تطويل يبعدك عن
القصد ، ولا وجازة تخل بالغرض ، واذا فاتني بعض أغراضه
أو اجتزت حدود مقاصده فامر لا غرابة فيه ، شأن عامة البشر
ممن لم تجب العصمة لهم ، وكان الخطأ غير مستكر منهم .
واني لأتمود به عز شأنه من العمى في المخالفة ، واقتحام
الخطأ في القول والعمل ، كما أسأله تعالى ان يحيرني من السهو
والغفلة ، انه سميع مجيب .

نص الحديث

اختلفت الروايات في نص هذا الحديث الشريف ، غير
ان الاختلاف الذي جاء فيه لا يغير مفاده ، ولا يجعل منه
منزعا للتأويل الزائغ ، ولا ذريعة للفرار عما ازم به منطوقه .
وهذا الاختلاف يشهد لما قيل : من ان الرسول
الامين (ص) نطق بمفاد هذا الحديث في عدة مواطن ،
مراعياً وحدة المعنى والغرض ، كما ان تعدد الرواة له وتعدد

الطرق لروايته ينبغي ان تعدد تلك المواطن ، ومن تلك المواطن
حجة الوداع يوم عرفة عند مجتمع الناس ، ومنها يوم الغدير في
خطبته ، ومنها مرض موته عند وصاياه لامته .

ونحن نورد لك أحد تلك النصوص ، اوسطها بياناً
وظهوراً ، وهو قوله صلى الله عليه وآله : « اني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن
تضلوا بعدي ابداً ، ألا وانها لن يترقا حتى يردا علي
الحوض »

وجاءت في بعض نصوص هذا الحديث تصريحات عن
الغرض المعني أوفر مما هو موجود في هذا النص ، امثال
قوله (ص) : (اني تارك فيكم خليفتين) بدل لفظ
- الثقلين - وقوله في آخره : (ولا تلهوهم فانهم اعلم منكم)
الى غير ذلك ، تركناها أخذاً باواسط الامور ، وجعلنا لفظ
هذا النص المتقدم هدف البيان ، ومقصد القول .

السفر

باغ هذا الحديث الشريف من الشهرة ما اغنى عن
استطراد مصادره ، فانه قد رواه الفريقان واعترفت به الفرقتان

وعرفه الخاص والعام ، بل حفظه الصغير والكبير ، والعالم والجاهل ، فهو فاكهة الاندية ، وفي مذاق الافواه . حتى كاد ان يتجاوز حد التواتر ، ولطأ نينة نشير الى بعض تلك المصادر .

فهذا أحمد يرويه في مسنده من طرق عديدة عن جماعة كثيرة انظر المسند (٣ : ١٧ و ٥٩) و (٤ : ٣١٧) و (٥ : ١٨٢ و ١٨٩) الى غيرها

وهذا مسلم يرويه في صحيحه في فضائل علي عليه السلام من عدة طرق والحاكم يرويه في المستدرک (٣ : ١٠٩) وابن حجر في صواعقه بعد الآية الرابعة من الآيات النازلة في فضل أهل البيت يقول : ثم اعلم ان الحديث التمسك بذلك طرقا عديدة وردت عن نيف وعشرين صحابيا . والسيوطي رواه في (احياء الميت بفضائل أهل البيت) المطبوع في هامش (الاتحاف بحب الاشراف) من طرق كثيرة .

والشيخ سليمان يرويه في ينابيع اللودة ص ٢٤ طبعة بمبي من طرق كثيرة جداً ، عن الترمذی وابن ماجه والطبرانی والثعلبي في تفسيره وعن كثير سواهم .

والحافظ الطبري في ذخائر العقبى ص ١٦ من عدة طرق
 إن استقصاء الرواة والطرق لهذا الحديث الشريف يخرجنا
 عن الصدد ، ويخرج هذه الرسالة عما وضعت له من الوجازة ، وقد
 عرفت ان هذا الحديث جاء طي حديث الغدير ايضا ، فكثير
 ممن روى حديث الغدير قد رواه ، فهل يا ترى كم يبلغ رواية
 الغدير والكتب التي ذكرته ، ولقد قيل : ان طريقه قد بلغت
 مائتين وخمسين طريقاً وان من يتصفح الكتب التي كتبت
 عن حديث الغدير لا يستبعد هذا العدد الجهم ، ولو جاء حديث
 الثقلين ضمن البعض من هذه الطرق - وقد جاء فعلاً - لكان
 متجاوزاً حد التواتر .

وان شئت ان تستوضح الحال وتقف على حال السند
 وطريقه تفصيلاً فدونك الكتب المبسطة ، وبغنيك منها
 كتاب العبقات .

معنى الحديث

اصبح الاخذ بهذا الحديث لازماً ، والعمل به حتماً ، بعد
 أن اصبح حجة في سنده ، غير اننا نريد ان نفقه معنى الحديث
 لنرى ما يرشدنا اليه ، ويدلنا عليه ، فنسير على ضوئه ،

ونستضيء بمصباحه .

والحديث كما اشرنا اليه لا ايس فيه ولا تعقيد ولا
اجمال ولا اخلاق ، فملاسة الفاظه ، وانتظام سبكه وفصاحته
بيانته تطمع كل احد في فهم مقاصده . من دون غور في
الاستخراج ولا تكلف في الاستنباط واليك ما افهمه منه .

ولا اريد أن افرض فهمي عليك واسكني اريد منك
أيها القاري الكريم ان تنظر الى الحديث نظري اليه متجرداً عن
الزعات الطائفية . بعيداً عن العقائد المذهبية . لئلا نرى ما ذا بوصلنا
اليه هذا الحديث الشريف فاني لا ارى ان لهذا الحديث الكريم
اثراً قيماً في توجيه الامامة ، وجعل القيم على الشريعة ، المستودع
للم الكتاب ، الذي به هداية الامة لو تمسكت به ، والامامة
اليوم وقبل اليوم في حاجة كبرى الى الهداة الذين تجتمع بهم
الكلمة ، ويوحد المذهب ، ولا اجتماع ولا وحدة والمذاهب
شتى ، والآراء متفرقة ، والعقائد توحىها الاهواء ، فالحديث
على ايجازه يقودنا الى الوحدة سياسياً ومذهبياً ، وتلك من
معاجز بيانه ، وحججه البالغة .

إني تارك فيكم

جاء في بدء هذا الحديث المبارك قوله (ص) : (إني تارك فيكم) وهذا الخطاب يقصد به جميع الأمة ، كل جيل وجيل وكل عصر وعصر وهذا الأسلوب من البيان جاء على نهج أرباب المحاورات وجرى على صيغ أوامر أهل الأمر ، ومن إليهم الحل والعقد وحين كان تبليغاً للحاضر والبادي والشاهد والغائب تنقطع عنده المعاذير ممن يزعم أن البلاغ لم يصل إليه بان الرسول (ص) نصب للأمة علماً يوضح لها ما أشكل من الكتاب ويعرفها ما تجهل من معالم الشريعة وأما ما يخلفه في أداء وظائفه عدا شعار النبوة وطابعها الخاص . ونعرف الغرض المعني من هذه الكلمة — لو التبس علينا المقصد وليس بما تبس — بمثل كلامه من رجال ينظرون إلى ما وراء اليوم ويرون أنفسهم مسؤولين عما في غد ومنه نتقرب إلى معرفة ما كان على الرسول (ص) من الوقوف لنصح الأمة وهدايتها عمر الدهر والقصد من كلامه الذي يريد به ذلك النصح والرشد لو غاب عنهم فإن الشيء يعرف

بنظائره واشباهه .

ونضرب امثلة نفرضها من مواقف رجال تختلف مقاديرها
في المجتمع ومسؤولياتها امام الناس ليكمل لنا المقياس ونقوى على
الزنة . واليك شيئاً مما أريد فرضه .

فلو ان احداً من سواد الناس يريد سفراً يأكله اهل وصيبة
يقوم بتغذيتهم وتربيتهم وليس لهم سواه معول في الاعاشة والتقويم
وقال لهم عند محاولته السفر : اني تارك فيكم فلانا . فماذا تفهم
من هذه الكلمة اتراه يريد غير نصب الخلف عنه في القيام
بمهماتهم وتقويم اودهم لتسكن بذاك نفوسهم وتطمئن قلوبهم
لان النفوس من شأنها الفرع والهلع اذا فقدت الكفيل الضمين
والاب الحاني الرؤوف .

أو ان احداً من ارباب التجارة أو الصناعة وله مراجعات
ومراسلات وعمال وكتبة او معامل وصناع . وهو يريد السفر
بعيداً عن محله . وأنت تعلم كيف يتول أمر تجارته أو صناعته
اذا لم يجعل القيم النائب عنه في تسيير الامر فلو قال وهو على
أهبة السفر : اني تارك فيكم فلاناً . اتراه يعني غير الخلف عنه
القائم مقامه في تسيير دقة اعماله والمرجع لهم فيما لهم من حق

وراتب ، وفيما له عليهم من حق ، فانه لا ينتظم أمر كبير ولا يتم امر جليل ، من دون زعيم يقوم على رأس ذلك الامر والعمل .

وهكذا يتضح الامر جلياً من ارباب الادارة والحكم فانه لا يغيب احدهم عن مقر وظيفته إلا ويجعل له الخلف في ادارة احوال الناس ، وان غاب ولو يوماً واحداً من دون نائب وخلف لم يأمن من اضطراب جبل الامن ، ومن ارتباك الناس لوقوف اعمالها التي ترتبط بوظيفته ، فكيف اذا غاب زمناً طويلاً . اتراه يستتب الامن ، ويسير النظام من دون خلف يقوم بتسيير البلاد ، ومن ثم لا يسوغون لذلك الاداري ان يغادر البلاد ويتركها هملاً من غير راع وسائس يقوم مقامه فلو قال عند سفره : اني تارك فيكم فلانا ، الست تراه يريد القائم مقامه في اداء وظيفته وادارة اعماله المسؤول عنها .

ويظهر لنا الحال واضحاً في الملك ورعيته فيما اذا حاول الملك رحلة الى بلاد اخرى ، أو أريد به ارتجالاً الى الاخرى وقال للناس وكلهم قلب فزع حذراً من الاهمال أو الاخلال بجعل النائب عن شخصه ، القائم بكبير اعماله : اني تارك فيكم

فلانا ، فإذا اتراه يقصد من هذا القول عند تلك الرحلة أو ذلك
الارتحال ، اتراه يعني غير نصبه مكانه وجمله الخلف من
بعده ، بماله من وظيفة وحق ، وما للناس عليه من حق ،
تطمينا للنفوس الجائشة ، وتهذبة للقلوب الخائفة ، لأن الرعية
تجد نفسها من غير سائس كالنعم بغير راع ، فإذا عرفت
الخاف بعد الساف هدأت بالا واطمأنت جأشاً ، لا سيما اذا
كان في الامة من يطمع بالعرش ، ويتميز الفرصة للوثبة ، أو
كان هناك أعداء ينتظرون خلو البلاد من ذلك الملك ليثبوا على
عرشه ، ويبطلوا الجهود التي قام بها في خدمة البلاد واصلاحها
أفهل ياترى يفهم الناس من كلمته تلك والحال على ما عرفت غير
أنه يريد الاعلام عن الخليفة عنه ، والقائم باعماله عند غيابه .

ونعرف الحال من كشب في العالم المرشد الذي افاد
الناس بنصائحه وتعاليمه - والناس في حاجة ابدآ الى المرشد
الصالح - فلو اراد هذا الدليل المرشد ان يغيب طويلا غيبة
آيب أو مفارق ، والناس لا تعرف من يصلح للارشاد من
بعده كما يعرفه ذلك العالم الناصح ، وهل ياترى ان اهل العلم
والعرفان ادرى بامثالهم ام سائر الناس ، ويوجد نفسه مسؤولا

أمام الله والعقل والناس لو تركهم وانفسهم يخطون خبط عشواء
في اختيار المرشد الناصح ، والعالم الصالح ، على ان الناس في كل
عصر غير تقيّة من اهل الزيف والضلال ، أو ارباب المطامع
الشخصية ، فلو قال ذلك العالم المصلح وهو على جناح سفر : إني تارك
فيكم فلانا ، فماذا يفهم منه الناس الذين انفروا حوله . وهم
ينظرون نصحه ورشده . أفلا يرونه انه دلهم على الخلف الناصح
الذي فيه الهدى والنجاة .

هذه أمثلة نزره وما اكثر امثالها اضربها نصب عينيك
لتقرب بها من فهم القصد من تلك الكلمة المكرّمة التي وردت
في صدر الحديث الشريف . فان الشيء يعرف بنظيره . وان
هذا الاسلوب من البيان جار عند جميع الطبقات من البشر .
الذين يرون انفسهم مسؤولين عما وراءهم .

وما جاءت هذه الامثلة إلا عن مسؤولين عن ناحية
خاصة . وامالو كان الذي يحاول الغياب ممن يجمع مسؤوليات
عديدة . والناس لديه شرع سواء . يرعى حالهم من ناحيتي
المعاش والمعاد . ويروم لهم السعادة في الحياة العاجلة والآجلة
وليس في الناس مثله من يجمع شرف العلم وفضيلة العمل . ويضم

الى الدين الادارة حتى يفرعوا اليه عند غيابه . إلا ان يدهم
هو على ذلك البديل الذي يصلح للقيام بمؤاياته ، فاذا قال
للناس وقد شد رحله وقدم راحلته للسفر ، والناس حوله ينظرون
الى نبرات شفتيه وقسمات وجهه التي تتبع في الرضى والغضب
والحزن والفرح تقاطيع صوته ، وتقطع عباراته ، وينظرون
منه النصيح والارشاد ، كما اعتادوه منه ولمسوه من قوله وفعله :
إني تارك فيكم فلانا ، فماذا يفهم منه ذلك الخالق الجاثي حوله غير
أعلامهم عن جعل الخلف بعده لطمأبتهم وعطما عليهم ، ذلك
الخلف الذى يقردهم الى سبل السعادة والخير ، ويصدعهم عن
مهاوي الشقاء والشر ، من الناحيتين السياسية والدينية ، وفي
الحياتين الفانية والباقية .

هذا ما يفهمه الناس في عرف المخاطبات والمحاورات ،
والوصايا والالزامات ، على ان ذلك القائل ليس له صفة إلهية
خاصة ، فكيف اذا كان سفيراً بين الخالق والخلقة ،
ومرسلاً رحمه للعالمين ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ،
ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقوة الى السعادة ، وكان
ما ينطق به وحياً يوحى علمه شديد القوى ، فاذا قال وهو على

اهبة السفر الى الرفيق الاعلى ، قال وهو يعلم انه المسؤول عن
الامة جمعاء امام الخالق والخلق والعقل والمنطق ، قال وهو يعلم
أنه أهدي الى الخلف الصالح الناصح ، وأعرف بالامام الهادي ،
قال وهو يعلم انه لو ترك الدلالة على خلفه لم يسلم من الملامة ، قال
وهو يعلم انه مسؤول عن الامة من جميع نواحي حياتها دنيا
واخرى ، فانه المشرع والمنفذ والعالم والحاكم والمرشد والسائس
قال : إني تارك فيكم الثقلين ، فماذا ترى يقصد من كلمته هذه
اتراه يريد غير النص على الخليفة من بعده الذي يقوى على القيام
بوظائفه بعد غيابه ، وعلى النهوض باعباء مسؤوليته ، فرضاً
لا رخصة فيه ، وتعييناً لا خيار به ، واماناً لا بدل عنه ، وانه
هو الجاعل دونهم ، والمعين دون رأى منهم .

وما قوله إني تارك إلا كما لو قال : امرني العالم عزوجل أن
انصب عليكم اماماً وخليفة من بعدي . لانه لا ينطق عن الهوى
او الحب لذوي القربى ، بل لا ينطق إلا عن وحي يوحى اليه .
ويشهد لهذا المفاد من انه (ص) يقصد به هذا القول
نصب الخليفة من بعده ما ورد في بعض نصوص الحديث : إني
تارك فيكم خليفتين انظر مسند احمد (٥ : ١٨٢ و ١٨٩) وهل

بعد التصريح بلفظ الخلافة من نص .

ومن عرف مناسبات المحاورات مع قرائن الاحوال
لا يجد فرقا في فهم القصد بين التصريح بلفظ الخلافة او الاكتفاء
عنها بلفظ الثقلين ، لأن دلالة على الخلافة والامامة واضحة
لمن يريد أن لا يكون بينه وبين اللفظ ومدلوله شيء من المرتكزات
التقليدية ، والعقائد الاتباعية ، فان للارتكاز والعقيدة سيطرة
على ظهور الدليل بل ونصه ، لأن المرء جهده يصرف اللفظ عما
دل عليه الى ما يراه ويعتقده ولو رجعنا الى ما ترشدنا اليه
الادلة دون ان تدخل في الدلالة الاغراض والاهواء لم تبعد
الشقة بين اهل المذاهب والعقائد .

ولو قيل : إن الرسول (ص) يترك في كل غزوة
يقودها بنفسه أميراً على المدينة . وينوه بخلافته عنه فلماذا لا نرى
خلافة أولئك الامراء . وقد صرح (ص) بتلك الخلافة .

قلنا : إن هذه الخلافة خلافة على أمر خاص . وبلد
خاص . ايام حياته خاصة . وفي ايام معدودة . واين هذه
من تلك الخلافة العامة بعد وفاته . وعلى الامة جمعاء . الى أمد
غير محدود . بل صرح (ص) في بعض نصوص الحديث انه

سوف يدعى فيحيب . أليس هذا إذن وقت التخليف ونصب
الرائد الراعي . والامام العام . الامام الذي لا غنى للأمة
عنه . القائم - لكفايته ومقدرته - بوظائف الرسول (ص)
واعباء مسؤوليته . وما على الرسول إلا البلاغ المبين . وما عليه
إذا لم تسمع الامة قوله وتطع امره . وإذا خالفوه فأنما أسأوا
لأنفسهم . وحادوا عن الطريق الذي هداهم اليه ووجب عليهم
السلوك فيه . وليس عليه ولا على الخلف بعده غضاضة إذا عمد
الناس على خلافهما وتركوا الائتمام بهما .

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله لا يترك المدينة أياما
قليلة بغير خليفة وأمر . فكيف يترك الامة كلها عمر الدنيا بغير
قائد ورائد . وامام وخليفة . يجمعهم على الهدى والرشاد .
ويدهم على الخير والصلاح . ويعرفهم ما جهلوه من معاني
التنزيل واحكام الشريعة ، ويصرفهم عن مهاوي الجهل والفساد
مع حاجتهم الى تلك الدلالة وذلك التعليم والارشاد . والى هذا
الصرف والصد .

القلبين

قال في القاموس في (ثقل) : والثقل محرّكة متّباع
المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون . ومنه الحديث إني
تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي .

وكفى ما في القاموس عما يذكره سواهم من ارباب المعاجم
اللغوية . لأن القصد من الاستشهاد به ان نعرف المعنى المطابق
للثقل عند اهل اللسان . فمن هنا نعرف ان التعبير عن الخلف
بعده بالثقل تلويح بل تصريح عند ارباب المحاوراة والبيان
بمعظم شأن الخلف له فاسته . وهذا وحده يعني الناس في وجوب
العناية بذلك الخلف فيما يليق بشأنه . فالعناية بالكتاب الاخذ
بتعاليمه وتطبيق احكامه . والعمل بنصائحه وعظاته . الى غير ذلك
مما فيه سعادة البشر وصلاحهم والعناية بالعترة اعظامها واکرامها
والامثال لاوامرها والارتداع بزواجرها والعمل بما تسديه
من ارشاد وهدى الى ما سوى هذا مما فيه حياة الامة

دنيا وأخرى ، لأن جميع ما لديهم اخذوه عن الفرقان وعن
الصادع به .

وليس الاهتمام في جودة خط الكتاب والتجويد به يعد
عند ارباب البصائر من العناية به ، من دون اخذ بنصائحه
وارشاداته ، وعمل باوامره ونواهيه ، كما ان احترام العترة وحباءها
وان كان من العناية إلا انه لا يتم ذلك ما لم يتمسك بهداها التزاماً
بما ترشد اليه وتدعوه له من اوامر الكتاب والسنة ، لان اللائق
بالكتاب الذي نزل ناموساً للبشر ان يعملوا بتلك الأنظمة
والاحكام ، واللائق بالعترة التي جمعت الى العلم الهداية والصلاح
ان يستقي الناس من ينابيع معارفهم وعلومهم ، ويعملوا بنصائحهم
ويقتدوا بهديهم ، فانهم لا يوجهون الناس الا الى السعادة في
الحياتين وهذا اللفظ وحده يرشدنا الى ما اشرنا اليه من شأن
الثقل وان لم ننظره مقترناً بآول الحديث وآخره ، فكيف اذا
نظرناه جملة واحدة مشفوعاً بصدوره وبعجزه ، ومقروناً بالآيات
والروايات الواثية حثت على الاعتصام بهذا الخلف ، وما كان
ذلك الحث والترغيب إلا لصلاح البشر انفسهم ، فان بالتمسك
به الهدى وعدم الضلال عمر الدنيا ، كما يفصح به الحديث نفسه

ويرشد اليه غيره ، وجاء في بعض نصوص هذا الحديث قوله :
ولا تملوهم فانهم اعلم منكم ، كما يرويه في الينايع ص ٢٩ عن
المناقب ، ومن هنا تعلم ان التمسك بالعترة انما هو لحاجة الناس
الى علم العترة واما العترة فهي في غنى عن علم الناس لانها اعلم
منهم ، فامر المصلح الأكبر خاتم الرسل (ص) بالتمسك
بالثقلين ما كان لاعناية بشأن الكتاب والعترة لانهما كتاب
وعترة فحسب ، بل لان بهما الهداية والرشد للأمة عمر الدنيا
ما استمسكت بهما ، فكما كانت رسالته رحمة للعباد كانت استدامة
الرحمة بوجود الثقلين ، وهذا كله من الطافه تعالى بعباده وهو
اللطيف الرحيم .

كتاب الله

لامناص من ان يكون الكتاب خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وان لم ينص الرسول على خلافته عنه ، لان فيه الحكم والاحكام ، والنصائح والاخلاق ، والتعليم والارشاد ، واخبار الاوائل وعبر الماضين ، الى ما سوى ذلك مما فيه حياة البشر لو تبصروا فيه وعملوا به ، وأي شئ من هذا تستغني الامة عنه ، بل فيه كلما يحتاج اليه الناس ، كما يقول سبحانه : (ما فرطنا في الكتاب من شئ) (١) وكما يقول تعالى خطابا لمسيده رسوله (ص) : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ » (٢) .

غير ان مداركتنا قاصرة عن الوصول الى هذه الكلية الواسعة ، كما ان الكتاب لا يكون فيا مبالغة ولا غلو ولا كذب ، لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا بد اذن من ان يكون له قوم يعرفون مدى ما فيه ، ويعلمون ما حواه ، ودلنا الكتاب

(١) الاعراف : ٣٨ . (٢) النحل : ٩١ .

نفسه على وجود العلماء بـأـ أوليه حسبما نزل وصدع به الرسول
 الأكرم؛ وذلك حيث يقول سبحانه خطاباً لرسوله الأمين (ص) :
 « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
 وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيمتبعون ما تشابه منه
 ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون
 في العلم » (١) .

فهذه الآية المباركة اعلمتنا بصريح منطوقها ان في القرآن آيات
 محكمة وأخر متشابهة ؛ وان العالمين بتأويله بعد الله جل ذكره
 الفاصلين بين محكمة ومتشابهة قوم راسخ عليهم ، لا يعتبر به تنزيل
 وشك ، ولا شبهة وريب .

واما الناس الذين اخذوا عنهم عن الناس فلا يكون
 علمهم ثابت الاساس رفيع البناء ، بل لابد ان يكون قائماً على
 شفا جرف هار ، وما قرن سبحانه علم التأويل لأولئك العلماء
 بـعلمه تعالى إلا لأن علمهم مستمد من ينبوع فيضه ،

وهل ياترى يستودع الله تعالى جواهر علمه ومفاتيح
 غيبه عند من لا يقوى على احتمال تلك الوديعة ، ولا يعرف زندها

(١) آل عمران : ٥ .

من الكرامة ، أو يودعها عند من لا يكون أميناً عليها ، ولا يقدر
على الاحتفاظ بها ، فيلقبها الى كل من يلقاه ، ويفضي بها الى
كل من يسأله ، وان لم يكن وعاءه صالحاً لاستيداع ذلك الجوهر
النفيس ، أو يستودعها عند من يتبع هواه لاهداه ، ويتفتي ميوله
لا نزوله ، أو يزيع ويخطئ ويسهو وينسى ، كلا ، لا يكون ذلك
شأن من يريد العلم تعالى وعاءاً لاستيداع غيبه المستكنون وعلمه
الأمين ، ويريده اداة لاصلاح العباد بل لا بد ان يكون قوياً على
احتمال عبء تلك الوديعة ، أميناً عليها ، يعرف عند من يستودعها
والى من يفضي بها ، لا يعتريه الريب والشك والسهو والنسيان
والزيع والخطأ في ذلك العلم المستودع ، وإلا لا تخلط الحابل
بالنابل وصار ما ينسبه الى الله سبحانه مشوباً من حق وباطل
وصواب وخطأ ، واذا علم الناس انه خزانة علم الله جل وعزّ
وأدلى الى الناس بالخطأ والزيع والضلال سهواً أو غفلة أو نسياناً
فقد اوقع الامة بالفساد وقد أراد الله جل اسمه ايداعه العلم لاصلاح
واخراج الناس من غياهب الضلال وهاوي الجهل والشقاء .
فمن هذه الآية العكرية علمنا ان لا يكتب العزيز علماء
بالتأويل لا يحجلون ، ومعصومين لا يخطئون ولا يسهون ولا ينسون .

كما ان الآية الكريمة دللتنا على فئة اخرى زعمت ان لها
علمًا بالتأويل ، وهم ارباب الزيف والضلال ، الذين اتبعوا ما نشأ به
من الكتاب ، ابتغاء فتنه الناس وصرفهم عن الهدى والحق ،
وابتغاء تأويله حسبما يريدون دون اخذ عن جاء به ونزل عليه ،
وهذا التنبيه منه جل لطفه تحذيرًا لنا من ان يفتننا المبطلون ،
ويحميد بنا عن الحق الزائغون ، وما حذرنا عن اولئك الفاتنين
إلا ونصب لنا ادلة على تأويل الكتاب يفصلون بين محكمه
ومتشابهه ، ويهدون الناس الى المحكم ويريدون بهم
الهداية والسعادة .

قد يقال إن قوله تعالى - والراسخون في العلم - ابتداء
جملة والخبر قوله بعد هذا - يقولون آمنا به - فلا يكون عطفًا على
لفظ الجلالة ، وعليه فيختص علم التأويل به جل علمه ، ولا يشاركه
فيه أحد من البشر .

غير أنني اقول : ان اجتهدنا ان نصرف الآية عما دلت
عليه من وجود العلماء بالتأويل من عباده فلا نستطيع ان ندافع
ما يلزم به العقل من وجوب الوجود لمثل هؤلاء العلماء ، وذلك
لان هذه الآية صرحت بان الكتاب مشتمل على المحكم والمتشابه

وان في الناس زائعين يريدون اتباع المتشابه للاضلال والفتنة
ويريدون التأويل حسب أهواءهم ، فاذا لم يكن هناك علماء بالتأويل
يعرفون المحكم منه ، يصرفون الناس اليه ابتغاء هدايتهم واخراجهم
من الضلالة فلا يبقى اذن غير ذوي الضلالة في الناس ، فليس
حجته البالغة ، وابن هدايته للنجدين ، وابن من يدل الناس على
ضلالة اولئك الزائغة قلوبهم ، وابن من يصرفهم عن اتباع
اولئك الضالين .

فالآية لا صارف لها عما اشارت اليه من ان الراسخين في العلم
هم من علماء التأويل على ان الكتاب نفسه في غير هذه الآية
اخبرنا عن وجود العلماء بالكتاب كما في قوله : ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء . فالرسول (ص) خبير بجميع ما نزل عليه وصدع به
وكما في قوله تعالى : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً
إلا من ارتضى من رسول ، واذا لم يكن سيد الرسل وخاتمهم
مرتضى لله تعالى في اظهاره على غيبه فمن المرتضى سواء ، وان
الاطهار على غيبه أعلى شأنًا وأوسع دائرة من اظهاره على علم
الكتاب وحده .

وكما في قوله تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه إلا

بما شاء . وما عاقب الاحاطة على المشيئة إلا وقد شاء ، الى غير
هذه من آي الكتاب .

نعم انما يكون ذلك الظهور على الغيب والاحاطة بالعلم منحة منه
جل لطفه ، فلا يكون ذلك في الانبياء والأوصياء ذتيًا وهذا
بخلاف علمه تقدس علمه فان علمه سبحانه عين ذاته ، فالفرق
بين العلمين ظاهر فاذا كان رسولنا الامين (ص) ظهوراً على
الغيب ، علماً بما نزل عليه ، محيطاً بشيء من علمه ، فهل انتهى
اليه ذلك ولم يستودعه احداً من امته ، وبقي ذلك العلم والغيب
مكنوناً ، وعلم الكتاب مخزوناً لا يعلمها بشر غيره ، ويبقى اهل
الزيغ والضلال على اضلالهم واغوائهم . فاذا كان في عهد الدليل
المرشد صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله منهم فئة موجودة .
فبالاخرى ان يكونوا من بعده اكثر نفراً وعدداً . وهل
يصح في العقل والدين ان يبقى ارباب الزيغ والضلالة
رافعين أعلام الغواية ولا هادي ولا مصلح . ولا عالم بالكتاب
ولا مرشد . يدلون الناس على الهدى والرشاد . ويرشدونهم
الى ضلالة أئمة الضلال فالحلف عن الرسول (ص) الحامل
لعلمه وهداه لا بد منه في الامة .

نعم ان الجدير بالناصح المصلح الاكبر سيد الرسل (ص)
 ان يدل الامة على أولئك الائمة ادلة الرشاد فانه ادرى
 العالم بمن يحمل علمه واعرف الناس بمن انتهى اليه الهدى
 والدلالة ومن ثم قال : مشيراً اليهم :

يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنَاكُمْ عَلَى كُنْهٍ أَلْسِنَتِكُمْ وَمِنْ يَسْمَعُ سَمْعُكُمْ وَمَا يُبْصِرُ بَصَرُكُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ أَلْفُ يُدُورٍ
 وَإِن تَأْمُرُوهُمْ فَيَرْجِعُوا إِلَىٰ مِمَّا قَالُوا فَإِن تُرِيدُوا أَن تُخْلِفَهُ بِالْمَدِينَةِ فَإِن يَمُؤُوا فَيَتَمِصُوا إِلَيْهَا فَوَلَّيْنَا الْغَنَاقَ
 وَإِن تُرِيدُوا خُرُوجَهُمْ فَقَالُوا لَا خَبَرٌ لَّا تَحْشُرُونَ
 وَإِن تَحْكُمُوا أَنَّهُمْ فَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّصْرِ
 وَإِن تَحْكُمُوا أَنَّهُمْ فَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّصْرِ
 وَإِن تَحْكُمُوا أَنَّهُمْ فَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّصْرِ
 وَإِن تَحْكُمُوا أَنَّهُمْ فَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّصْرِ

يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنَاكُمْ عَلَى كُنْهٍ أَلْسِنَتِكُمْ وَمِنْ يَسْمَعُ سَمْعُكُمْ وَمَا يُبْصِرُ بَصَرُكُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ أَلْفُ يُدُورٍ
 وَإِن تَأْمُرُوهُمْ فَيَرْجِعُوا إِلَىٰ مِمَّا قَالُوا فَإِن تُرِيدُوا أَن تُخْلِفَهُ بِالْمَدِينَةِ فَإِن يَمُؤُوا فَيَتَمِصُوا إِلَيْهَا فَوَلَّيْنَا الْغَنَاقَ
 وَإِن تُرِيدُوا خُرُوجَهُمْ فَقَالُوا لَا خَبَرٌ لَّا تَحْشُرُونَ
 وَإِن تَحْكُمُوا أَنَّهُمْ فَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّصْرِ
 وَإِن تَحْكُمُوا أَنَّهُمْ فَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّصْرِ
 وَإِن تَحْكُمُوا أَنَّهُمْ فَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّصْرِ
 وَإِن تَحْكُمُوا أَنَّهُمْ فَتَلَوْنَهَا كَمَا تُنَادُوا بِالنَّصْرِ

وعترني اهل بيتي

فلا مندوحة اذن عن هذا الخليفة الثاني من الثقلين في
النيابة عن صاحب الرسالة (ص) لأن للرسول صلوات الله عليه
وعلى آله وظائف جمّة ينهض باعبائها ، فهو نبي مشرّع ،
واداري مطبق ومنفذ ، وقاض يفصل الخصومات ، وسياسي
يعقد المعاهدات ، وقائد محنك باسل ، ومعلم مرشد هاد ،
الى غير ذلك مما يحتاج اليه في التبليغ والتعليم والحكم لأن
المسؤولية عليه خاصة من كل ناحية .

هذا في ايام حياته واما بعد وفاته فلا غنى للناس عن
ذلك الحاكم الاداري ، والعالم المرشد ، والقاضي الفاضل ،
والقائد المحنك ، والسياسي الخبير ، وما عدا هذا مما لا بد منه
في الزعيم الجامع للناس ، غير ان التشرّيع من صفات النبوة
خاصة ، ولئن أخبر (ص) عن مماثلة علي عليه السلام له في

المنزلة الشاملة لجميع ما اشرنا اليه فقد استثنى النبوة ، ومن ثم لم يستثن شيئاً من العلم في قوله : انا مدينة العلم وعلي بابها .
 فاذا كان الخليفة عن الرسول (ص) لا غنى عنه بتاتا فمن هو الجدير بالنيابة عنه — أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدي — لا ينبغي الريب في ان الهادي بنفسه ، العالم بذاته من غير تعليم من الناس ، الذي لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو ولا يغفل ، والذي انتهى اليه علم صاحب الرسالة وصفاته هو الحقيق بتلك النيابة ، والجدير بهاتيك الخلافة .

وما اختار الرسول الحكيم اهل بيته للخلافة عنه من قبل نفسه وانما كان بامر من الله تعالى له لعله سبحانه بانهم الذين يتقصدون بتلك الصفات ، ويقدرُونَ على النهوض بهاتيك الاعباء ، ومن ثم اُشار (ص) الى ان الهداية بالتمسك بهم ، والضلال بالخائفة لهم ، ولو كانوا امثال الناس في هاتيك الخصال — وانت تعلم حال الناس من الخطأ والصواب ، والنسيان والذكر ، والغفلة والالتفات ، والسهو والانتباه — لما كانت لهم الخلافة دون الامة ، ولكن الايصاء اليهم بالامر

ترجيحاً بلا مرجح . وهو قبيح عند ارباب العقول ، فكيف
يفعله المرسلون .

على ان الكتاب الحكيم محتاج الى المؤول والمفسر لما
صرح به نفسه من اشتماله على المحكم والمتشابه ، وان ارباب
الزيف يتبعون متشابهه دون محكمه ، ولولا ما يخفى على سواد
الناس من الفرق بين المحكم والمتشابه لما انتهز ارباب الضلالة
الفرصة لفتنة الناس باتباع التشابه ، فاذا لم يكن هناك مؤولون
يكشفون للناس ما خفي عليهم من الفرق بين القمين لكان
لأولئك الزائعين في تأويلهم شبهة برططم بها الناس بعضهم
ببعض ويخفى على ضعفاء البصائر الجواب عنها ، على ان ذلك
التأويل الزائف ما زال متبعاً عند قوم حتى الساعة ، وذلك لانهم
تركوا في تأويل القرآن اهل التأويل الذين نص عليهم الرسول (ص)
ومن اين جاءت شبهة القول بالتجسيم ، وشبهة القول بالجبر ،
إلا من هاتيك الآيات المتشابهة ، وما كان تصرف اهل البيت
ببطلان هاتين الشبهتين واشباههما وهم المرحع في التأويل وما
كان حكم العقل بفسادهما ، وهو الحكم الفاصل في الخصامات
ينفع في اقناع اولئك القوم في العدول عن هاتين الشبهتين ،

وما ذاك إلا لأن لهم من متشابه الكتاب ففرقا يرجعون اليه ،
وان اوضحه المحكم .

ولو لم ينص الكتاب الاقدس على احتياجه الى المؤولين
الراسخ عليهم لكان من صمته دلالة بيّنة على احتياجه الى
المفسر الناطق ، ولو كان في استغناء عن ذلك المؤول الناطق
لاجمع الناس على مدلوله ، واطبقت الامة على منطوقه ، ولم تصبح
في تأويله شيعاً ومذاهب ، وفرقا وطرائق ، ولما بلغت تلك
الفرق الى ما يزيد على السبعين ، وكل فرقة تزعم أن دليلها
الكتاب ، وهو الناطق بحجتها ، والمصباح لهدايتها ، وتستشهد
على ما تزعم بآيات منه تؤولها حسبما ترغب وتهوى .

فاذا لم يكن للكتاب العزيز مرجع خاص في معرفة تنزيله
راسخ العلم في تأويله ، فمن يكون الفيصل بين هذه الفرق
المختلفة ، والحكم بين أولئك الخصوم المتنازعة ، ليردها
الى الحق المحض ، ويوردها المنهل الصفو ، فانه لا يسوغ ان
يكون في الامة ذلك الاختلاف الجهم من دون مرجع منصوب لا يوضح
الحق ، وكيف يسوغ هذا والكتاب واحد والنبي واحد
والشريعة واحدة .

وليس بقاء هاتيك التأويلات الباطلة ، والفرق المتخالفة
حتى اليوم وهنا في أولئك المؤولين الراسخ عليهم ، وطعننا
فيهم بالتقصير أو القصور عن اراحة الشبه الفاسدة ، بل ان
الناس انفسهم عرضوا عن أولئك العلماء الهداة وأبوا ان
يسمعوا لهم حجة ، ويصغوا منهم الى قول ، وما ذنب أولئك
الادلء اذا سلمك الناس سبيلا غير سبيلهم ، مع دلالة المصلح
الاكبر عليهم ، فما كان تفرق الناس عنهم ، واعتمادهم
على آرائهم وأهوائهم ، وان أوقعتهم في مهاوي العطب ،
وصيرتهم طرائق قددآ ، إلا بما اختاروه لانفسهم ، وما هم
بضائرين إلا انفسهم .

ولو اهل الرسول (ص) الاشارة والارشاد الى صاحب
التأويل ، لساغ أن يزعم كل ناعق بضلالة انه الراسخ العلم
وصاحب التأويل ، ولقد زعم بعضهم انه ممن انتهى اليه
التأويل فوق ووقع الناس في المهالك ، لاستقلاله بالتأويل دون
اهل التأويل ، ولو كان أولئك المؤولون جميعاً من اهل لما
اختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي يكشف عن جهلهم بالحقيقة
وبعدهم عن الصواب ، ومع تبين هذه الحال لهم استقاموا على

ذلك الاختلاف والمخالفة ، واستمروا على مجانبة ذلك العالم
بالتأويل .

قال الرسول (ص) ارشاداً الى الخليفة الثاني :
(وعترتي اهل بيتي) فابان صلوات الله عليه وعلى آله من هو
المعني بالعترة بقوله : اهل بيتي ، فاضنانا بفضل بيانه عن
الخوض في المقصود من العترة .

غير ان الامر كله في انه من المقصود باهل البيت ،
لان الناس على اختلاف في ذلك ، فبين من ذهب الى ان اهل
البيت نساؤه والهاشميون عامة ، وبين من ذهب الى انهم
بنو هاشم خاصة دون النساء ، وبين من ذهب الى انهم رهط
خاص من بني هاشم ، وهم الذين جللهم بكسائه ، وقال اللهم
هؤلاء اهل بيتي ، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيرا وهم علي
وفاطمة وابناهما عليهم السلام ، وهذا الخلاف جار في كل آية
ورواية جاء فيها ذكر لاهل البيت عليهم السلام ؛ سوى انه
يمكن ان يقال بان الزهراء عليها السلام غير مقصودة من
اهل البيت ههنا ، وذلك فيما اذا فهمنا من الحديث النص على

الخلافة والامامة .

ولعلنا نهتدي الى المعنى من اهل البيت بعينه ، ونعرفه
بشخصه دون ما تعمق في الاستنباط ، أو تكلف في سلوك
السبيل اليه ، فنقول : إن الرسول (ص) اراد بهذا الحديث
ان ينصب علماً لهداية الامة وارشادها ، وعالماً يدلها على تأويل
الكتاب حسب نزوله ، واماماً يجمعها على الخير والهدى ،
ويصدها عن الشر والضلال ، وابن نساؤه وعامة الهاشميين
من هذه المملكات القدسية التي لا تكون إلا للانبياء واوصيائهم
عليهم السلام ، فانما نرى النساء وبني هاشم على غير ما يراد من هذه
المنزلة العظمى ؛ فلا بد ان يريد من اهل البيت رهطاً لهم الكفاية
والقدرة على النهوض بتلك الاعباء الباهظة ، ولا بد ان
يكون ذلك الرهط معلوما لديه ولدى الناس ، ولو كان مجهولاً
للامة لم تنفع الاشارة الاجمالية اليه ، ولم تخرج الامة بها من
الضلالة . لان الامة تختلف عندئذ في تعيين أولئك الرهط .
لا سيما اذا ادعاها خلق كثير منهم . وزعم كل واحد انه الخلف
دون سواه . وقد اختلف الناس وأخذوا يمنة ويسرة مع
تلويح الرسول (ص) وتصرّحه بذلك الخلف . فكيف

للم فعل ، نعم لولم يفعل لقامت الحججة من الناس عليه ، ولكنه
حين فعل قامت الحججة منه عليهم .

ولو كانت اشارة الرسول (ص) الى الخلف من بعده
اشارة اجمالية من دون تعيين لنفر خاص لما كان ثمة دافع عن
التنافس ، أو رادع عن دعوى العلم بالكتاب ، ومن يكون
الحكم عند ذاك بين الخصوم في دعوى العلم والخلافة ، وما المرغم
لأولئك الخصوم على الخضوع لشخص بعينه من دون نص
وتعيين من صاحب الرسالة (ص) فان الناس جاهدوا بالجدد
لأولئك المنصوص عليهم مع تظافر النصوص ، وتصديق آثارهم
لها ، فكيف لو اهل الرسول أو اجمل ، أو لم يكن أثر يشفع للخبر ،
إن الناس لا بد ان تعرف في عهد الرسول (ص) من هم
اهل البيت ، ولا بد أن يكون الحديث نفسه في عهد الرسول وهذا
العهد دالا عليهم دلالة واضحة ، ومرشداً اليهم ارشاداً لا لبس
فيه ولا تعمية ، وإلا لما صلح هذا الحديث لان يكون من
المصلح ألا كبر حجة على الأمة ، يقطع منهم العذر والحجة .

إن الحديث الشريف نفسه حين عبر عن العترة بالنقل
وقرنه بالكتاب دلنا على ان هذا الخليفة الثاني رفيع الشأن ،

ثقل الميزان ، عليم بما في القرآن ، راسخ العلم لا يعتري علمه
شك ولا ارتياب ، معصوم من الخطايا والذنوب ، منزّه عن
النقائص والعيوب ، به الهدى من الضلال ، والانتشال من
الجهل ، شأن عديله وقرينه الكتاب ، كما عرفته وستعرفه
ان شاء الله تعالى ، وابن من هذه الصفات نساؤه وعامة
الهاشميين .

ولو كان هذا الخليفة الثاني وعديل القرآن لا يتصف
بجميع تلك الصفات ، أو يتصف بها طوراً وطوراً ، لما تركه
الرسول خليفة عنه هادياً من الضلالة وقريناً للكتاب الحاروي
لهاتيك الخصال .

أو كان غير قدير على تأدية وظائف الرسول التي لا بد
منها للخليفة ، والتي لا غنى للناس عنها لما كانت الهداية به دائماً
والخروج به من الضلالة ابداً ، كما وصفه بذلك الرسول الصادق
الامين ، وكما هو شأن عديله الكتاب .

ومن ياترى من بيت الرسالة يتصف بتلك الملائكة القدسية
التي لا تكون إلا في أفذاذ من البشر اختارهم الخير تعالى للرسالة
أو الوصاية ، أنرى يصلح لها غير المرتضى وولديه عليهم السلام

ان كانت تلك الصفات مجتمعة في احد فلا تغدو الوصي
والسبطين وان كانت العصمة بعد الرسول موجودة في بشر فلا تتخطى
عليك والحسين ، ولئن فأت هذه السجايا التي لا بد منها في
الوجود الوصي وابنيه فمن ياترى يكرن لها من اهل البيت ، ومن
هم اعلم منهم وادري ، وارشد واهدى ، بل من هو على شاكلتهم
يجاريهم في الفضائل ، ويباريهم في العلوم والمعارف ، ويصلح
للعصمة لو كانت عصمة .

ان فأت هذه الصفات ابا الحسين والحسين فقد جاز على
المرشد الاكبر (ص) ان يرشد الى معدوم الوجود ، أو يشير
الى مستحيله ، فيكلف الناس معرفة ما لا يسعون ، ويطلب منهم
ما لا يجدون .

فاهل البيت اذن في عهد صاحب الرسالة (ص) الذين
يقصدهم هذا الحديث الشريف هم علي والسبطان فحسب ، حصر آ
وجدانيا ، وحكما عقليا ؛ ليس فيه ارتياب . ولا دونه حجاب .
وهذا الحصر والحكم برغمان المرء على الاعتراف به هذه الحقيقة
في كل عهد وزمن . فكما فهم الناس في عهد خاتم الانبياء (ص)
ان المراد من اهل البيت المرتضى ونجلاه نفهم هذا منه اليوم ،

ما دام الهدف الحق . والقصد معرفة الثقل الثاني .
ولا احسب ان هذا المفهوم من الحديث يخفى على احد
بعد الروية والبصيرة ، والتجرد عن المرتكزات والنقل
في العقيدة .

ولو كان في بني هاشم من يبلغ شأواً أمير المؤمنين وولديه
في الفضائل والمعارف والعلوم ، اظهر امره ، وبان خبره ،
وارشدتنا اليه الاخبار والآثار .

هذا ما استفدناه من الحديث نفسه . ولو اردنا ان نؤيد
مدلوله بالآيات والروايات لكان لنا منهما متسع . وليكننا اردنا
ان نكون نحن والحديث من دون أن نستعرض سواه في هذا المقاد .



ما انه تمسكتكم بها لئلا تضيوا بعري ابراهيم

كلمة ما اسلس بيانها ، واوضح مفادها ، ليس في تركيبتها
تعقيد ، ولا في مدلولها غموض .

دلتنا على ان الدليل بعد الرسول صلوات الله عليه وعلى آله
الى الهدى والخروج من دياجر الضلالة كما كان في عهده . هو
التمسك بالثقلين معا .

وهذا الارشاد من رسول الرحمة والرفقة يعم الامة
جميعاً ، ويلفت صحابته الى ان الاستمرار على الهداية لا يكفي
فيه ما استقوه من ينبوعه دون ان يتمسكوا بعده بهذين الخليفين
وينبه الاجيال الآتية من المسألة الى ان الاسلام لا يكون مناراً
للهدى إلا بالتمسك بالثقلين ، فانهما رائد الحق ، وسلم النجاة
واي امرى لا يحتاج الى رائد في الوصول الى الحق والصدود
عن الباطل ، ومن يؤمنه لو سلك السبيل وحده من غير دليل
ورائد - والطريق شاسع - ان يقع في فلول حرد حيث

لا ماء ولا كلاً ، وهناك العطب ، واي بصير يستغني عن
السلم في الرقي الى معارج الحق الرفيعة ، ومن يؤمنه - لو ارتقى
بدونه - ان تكون المعارج ماثوية فلا يجد مستلماً ليديه وموطئاً
لرجليه فتزل به القدم ، قالى اين - يا ترى - المهوى والمنقلب .
وهذه الكلمة كما ارشدتنا بدلائلها الى ان الهدى بعد الرسول (ص)
بخليفتيه ، ارشدتنا الى استمرار ذلك الهدى ما دام انسان ،
وما دام كتاب وعبرة .

ونستفيد التأييد الدائم لعدم الضلالة بهما من - لن -
الدالة على النفي انؤبد ، ومن التصريح بالتأييد بقوله - ابدأ -
فالهدى الابدي الذي لا يحول ولا يزول هو بالتمسك بهذين
الثقلين ، وبعد ان دلنا نبي الرحمة والهدى على تلك الهداية
كن لزاماً علي أن اتبع دلالته ، فلا احيد عن الثقلين قيد اعملة
فاضل واملك ، ولست مسؤولاً بعد هذا التعمين منه (ص)
عن غيرهما من الكتب والناس ، ما لم تكن قد اخذت عنهما
متفقين ، واستندت اليهما مجتَمعين ، فانه ادرى بمن يصلح للدلالة
بعده ، ولا يهمني بعد هذه الوصية منه ما قيل ومن قال ، وهذا
الموقف هو الجدير بكل مسلم ان يقفه مع الثقلين بعد ذلك النصيح

والارشاد من رسول الاصلاح (ص) .
غير ان المهم ان نعرف ما هو التمسك بالثقلين ، فان
التمسك هو الغاية التي ينشدها الرسول (ص) من هذا الحديث كانه
ان حقيقة التمسك هي الاعتصام ، وليس الغرض منه
هنا القبض باليد ، بل التمسك بالشيء انما هو حسب ما يليق به
ويتفق وشأنه ، ولما كان الكتاب - كما علمت - مصدر الشريعة
المحمدية ، وقاعدة النظم والاحكام ، وينبوع الفضائل
والاخلاق ، ومفتاح العبر والعظات ، وكانت العترة الكتاب
الناطق ، الكاشف عن اسرار الكتاب الصامت ، والدليل
على عظمة الاله الفاطر والمرشد الى واجب العبودية ازاء تلك
العظمة ، والموئل في حياتنا الدينية والسياسية . كان التمسك
بالثقلين الاخذ بما ارشدا اليه ، ودلا عليه ، واتباع ما امر به
ونهيما عنه ، فان خالف المرء سيرهما اجتيازاً ، أو تخلف عنهما
نكوصاً ، اعتصاماً برأيه أو اتباعاً لغيره . لم يكن من المتمسكين
بل كان من المنحرفين الزائعين .

هل هناك ثقل ثالث

وهناك امر لا بد لنا من النظر فيه والبحث عنه . بحث مستهدف للحق ، متطلب للحقيقة ، مصباحه الذي يسير على ضوئه - الدليل - وبه تستنير غياهب الشبه والشكوك ، وأي نبراس يجلو لنا دياجر الاوهام والهواجس اضواؤه ، وهو انه هل هناك ثقل ثالث يلزمنا صحيح البرهان بالتمسك به والقبض عليه ، بحيث يكون ذلك الثقل على مثال الكتاب والعرة في الخلافة والاعتصام والعلم ، فمن تمسك به اتخذ الى الهدى سبيلا ، وإلى الفرار عن الضلال والردى طريقا .

زعم فئة من المسلمين ان لدينا ثقلا ثالثا يجب التمسك به والاتباع له . ألا وهو - الاصحاب - ورووا في ذلك حديثا عن نبينا المرشد الاكبر (ص) زاعمين انه قال : اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

ولا بد لنا من تمحيص هذا الحديث لتكون على بصيرة

من امره ومن موقفنا إزاء الاصحاب ، فانه ان صح سنده
وتمت دلالة أوقفنا في . أزر ضيق لا نجد ثغرة فيها الخرج
من لوازمه ، ولعلنا نهتدي الى التوفيق بينه وبين حديث الثقلين .
لا أريد أن أتحدث اليك عن سند هذا الحديث وحاله فان
الحديث عنه ذو شجون ، وانما ابحت عن الدلالة فان بها غنى
وقناعة ، ويضطرني الحال الى ان اشير الى احوال بعض
الاصحاب ، وانه هل لنا سبيل الى ان نجعلهم قدوة كالثقلين .
إن كلمة الاصحاب اطلقوها على من رأى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وسمع حديثه ، سواء أكان مهاجريا أو انصاريا ،
وانت على خبر بان الرسول (ص) في بدء الاسلام اراد أن
يبث روح الاسلام في الناس ، وينشر تعاليمه الحية ، والناس
لا تقبلها ولا تقبل عليها اذا جاءتهم دفعة واحدة ، فان الحواجز
دونها جمة ، فمن حسد الى بغضاء الى عداة الى جهل الى عصبية
لدين الآباء الى ما شاكل هذه ، وانت ترى ان في البعض من
هذه حوائل دون الرضوخ للحق وان عرفته النفس وايقنت به ،
ومن ثم كان تبليغه للاحكام والتعاليم نجوما شأن القرآن
ونزوله ، لئلا تنفر الناس من هجومها عليهم مرة واحدة ، ويروها

عجباً قبيلاً لا يطاق حمله ، وتلك سياسة إلهية كانت أحد العوامل
لنجاح الدعوة الإسلامية ، جرى فيها الرسول على سنة التدرج
في النظام الكوني وسنة التطور في البشر ولا غرابة فهذا شأن
الله تعالى في خلقه .

وكان من سياسته الرشيدة أن تقبل من كثير من
الناس الاسلام ظاهراً وان ابطنوا الكفر ، فان طرد أمثال
هؤلاء عن حظيرته تكثير لاعدائه وتقليل من أعوانه ، على ان
المرجو من مثل هؤلاء ان يدخل الاسلام في قلوبهم ولو بعد
حين ، كما تظاهروا به وساروا عليه ، وقد اخبر عن سرائر
بعضهم القرآن العزيز بقوله : ومن اهل المدينة مردوا على النفاق ،
فوجود المنافقين الذين يبطنون الكفر و يظهرون الاسلام في
اصحاب النبي (ص) لا ارياب فيه .

وما زالت منهم فئة مندسين في المسلمين حتى بعد عهد
الرسول (ص) وقد خفيت حالهم على كثير من الناس في
ايامهم وايامه والوحي ينزل عليه ، فكيف بعد ذلك العهد
بقرون ، واذا علم امرهم مثل سلمان وحذيفة وعمار واضرابهم
فليس كل الناس لديهم معرفة سرائرهم وما انطوت

عليه ضماثرهم .

فاذا كان في المسلمين ذلك اليوم من ابطال الكفر فكيف يقتدي بكل فرد منهم دون ان نشق بايمانه ، ونعرف صحة اسلامه ، وما تنفعه تلك الظاهرة الا في ادخاله في ربة الاسلام وعدّه من المسلمين في الاحكام .

إن المنافق كافر وهو يود ان يرجع الناس الى الكفر ، ويسعى له جهده لو امكنته الفرص ، ومن الذي دحرج للرسول (ص) الدباب ليلة العقبة ، ومن الذي دعاه الى الصلاة في مسجدهم ليقتلوه ، ومن الذي قال : ليخرجن الاعز منها الاذل ، الى غير هذا من سمي المنافقين وكيدهم للاسلام ، هذا والنجي حي والوحي يأتيه ، فكيف حالهم مع الاسلام من بعده ، أيصح للمسلم ان يقتدي بمثل هؤلاء ويجعلهم أئمة في الهداية وكيف يستضاء بالمنافق وهو ظلام حالك لا نجم ثاقب . وزد على هذا ان كثيراً من الصحابة كذبوا على الرسول (ص) واذبوا اليه احاديث واقوالا لم ينس منها بينت شفة . واعمالا كان بريئاً منها ، وقد اخبر الرسول (ص) نفسه انه سوف يكثر عليه الكذابون ، واوعدهم بتبوء مقاعدهم من النار ،

وهل يأمرنا الرسول (ص) وهو الناصح الأمين ان تتبع
الكذبة الخونة اهل النار ، وهل سبق في شريعة سماوية ان
أنتمها الهداة كانوا من اهل الضلال والنار والكذب على الله
وعلى صاحب الشريعة ، واحسبك تراه مستحيلا عقلا ووجدانا ،
ولا ادري كيف تستنكر من الشرائع السالفة ما ترتضيه لشريعتك
الغراء وهي افضلها نبيا وامة .

وهذا شأن يحجم القلم عن التبسط فيه ، وهو ما وقع
من الخلاف بين الاصحاب والنبى (ص) بعد لم يدرج في
اكفانه ، والسقيفة والخلاف في الخلافة اول حدث جال في
الاسلام وبين الاصحاب ، بايع فئة من الصحابة ابا بكر
وانكش آخرون . فبمن الاقتداء من هؤلاء . وما وجه تقديم
بعضهم على بعض في القدوة .

ودع عنك حادث السقيفة العظيم ومخالفة زمرة من
الاصحاب لابي بكر وجماعته . وبلوغ سبيل الخلاف بين
الفئتين الزبى . واستمراره الى اليوم . وانظر في الحوادث بعد
ذلك اليوم . واهمها حادثة الشورى واختلاف الناس في الخليفة
واستسلام بعضهم قهرا لمبايعة عثمان . وما انقضت برهة طويلة

من أيامه حتى انكروا الكثير من اعماله . فوجدوها فرصة للتأليب عليه واظهار ما ابطنوه من السخط على بيعته . وفي طلبه المؤلبين والمتآمرين عليه عائشة وصاحبها طلحة والزبير حتى ان ناسا من الصحابة نسب اليهم مباشرة قتله بعد ان اجمعوا على خلعه قتل لي بمن تقتدي فنهتدي من هاتين الفئتين المتخالفتين . والحزبين المتحاربين ، أبالقاتل ام بالمقتول ، وباللاعن أم بالملعون ، أم بكليهما ، وهل يمكن الاقتداء بهما معا وهما على حرب ، أم نفحص عن فئة ثالثة قد اعتزلت الفريقين لنجعلها القدوة بعد ان نعرض عن تينك الفئتين ، وهل في ذلك اليوم حزب منقاد ، ام ماذا نصنع .. ؟

ولا تنسى الايام والتاريخ أمر عثمان ، وما كان من شأن حصاره وقتله ، فقد كفره الاصحاب وقتلوه بعد خلعهم . وقد كان يزعم الكثير منهم انه امامهم قبل هذا اليوم ، فبأي اليوميين تقتدي به ، وعلى أي الرأيين منهم تعمل .

واليك . منهم ما كان مع امير المؤمنين المرتضى فقد اجمع الناس على بيعته ثم نكث الزبير وطلحة واخر جامعهما عائشة الى البصرة فكانت حادثة الجمل وانهرق تلك الدماء الكثيرة من المسلمين ،

فمن المسؤول عن هاتيك الدماء المسفوكة ، ومن الامام المقتدى به
من ذنبك العسكرين ، ولا محالة ان احد الفريقين عات
ظالم ، وفي عنقه ذاك الحدث الكبير والدماء المراقبة ، وهل
يجوز ان يكون الظالم اماماً تقتدي به ، والله تعالى يقول :
لا ينال عهدي الظالمين ، وهل تكون هداية بمن اعتدى فأضل
الناس وارق الدماء طلباً للرياسة والزعامة ، من دون ان
يفعل ذلك عن شبهة أو دفاعاً عن دين أو حرمة أو حريم .

والخطب الافضع ما كان من معاوية وابن العاص وحشالة
من الناس نسبوا انفسهم الى الصحبة فاضوا بحوراً من الدماء
يوم صفين ، افنقتدي بامير المؤمنين أم باولئك القاسطين وهل
يصح لنا اذا كان كل صحابي قدوة ان نحارب المرتضى اقتداءً
بمعاوية ، ونحن فوق ذلك مهتدون ومعدورون عند الله تعالى
لان قدوتنا من الاصحاب .

ولا تنس قارعة الطف الموحجة ، فقد كان في جيش
ابن زياد سمرة بن جندب وقد اعتبره القوم من الصحابة ،
افيحوز لنا ان نحارب الحسين ومن بحمالة من الصحابة اقتداءً
بسمرة ، ومن الذي اخرج من عموم الحديث سمرة ومعاوية

وامثالهما ، وطليحة والزبير واشياعهما ، ومروان والوليد بن
عقبة واشباههما ، ان كان الحديث صحيحا ، يأمر باتباع كل
من له صحبة ، وما الفارق بين الهادي والضال منهم لندفع الضال
ونزكن الى الهاد وكل واحد منهم له فئة يركنون اليه ، ويصوبون
أعماله وآراءه

انك لو سبرت سيرة الاصحاب بعد الرسول صلى الله
عليه وآله الى يوم انقراضهم لما وجدت عصرا لم تتخاف
فيه الصحابة ، بل ولم تتحارب ويكفر بعضهم بعضا ، ودونك
اخبارهم فاسبرها ، وآثارهم فانظرها .

وما كان الخلاف بينهم في الزعامة والامامة مخيب ،
بل اختلفوا في الرواية والفتيا عنه (ص) وفي السيرة والاخلاق
وفي طرق الهداية والارشاد ، وفيما سوى هذا ، وهاتيك
احوالهم تقرئك اياها كتب السيرة والترجمة والتأريخ .

ولو ضعف ايماننا بهاتيك الكتب لكفتنا عن سبر احوالهم
آية الانقلاب ، واحاديث الذود عن الحوض ، واحاديث
الاقتراق ، وما بائلهما ، ومن كانت تلك حاله كيف يصلح
للهدي والرشد .

هذا اذا نظرنا الى الاصحاب وسيرتهم فحسب ، واما
لو نظرنا الى مواقفهم مع اهل البيت . الذين اذهب الله عنهم
الرجس وامرنا بمودتهم والتمسك بهم . لايقنا بان القوم قد
انستهم الاضغان والاحقاد ما لأهل البيت من حق . وما لهم
على الامة من فرض . فإين آية التطهير وإين آية المودة وإين
سورة هل أتى . وإين حديث السفينة . وإين حديث باب حطة
وإين حديث الثقلين . وإين حديث حربهم حربي وحربي
حرب الله ، وسلمهم سلمى وسلمى سلم الله وإين .. وإين من ذلك العداء
الذي نصبوه لهم ، والحرب التي شنوها عليهم فكان هاتيك
الآيات ما نزلت وهذه الاحاديث ما وردت إلا لمقاومة اهل
البيت وحربهم والخلاف عليهم .

وما اصبح مذهب اهل البيت مستطيلا إلا بنفسه يخالفه
الكثير من مذاهب الصحابة وآرائهم وجرى الخلاف على
سيرة أولئك السلف فالناس الذين امرهم الرسول بمتابعة الثقلين
ساروا حتى الساعة على المخالفة والمعارضة .

بلى كان زمرة من الاصحاب لا يشك بايمانهم وهداهم
واجتهادهم فى النصيح والارشاد امثال سلمان وابي ذر والمقداد

وعمار وابن مسعود وحذيفة وخزيمة وجابر وابي أبوب وكثير
سواهم ساروا على خطتهم ، ولا يرتاب ذو مسكة بان الاقتداء
بمثل هؤلاء رشد واهتداء ، ولكن هؤلاء لم يقفوا مع أهل البيت
موقف حرب وعداء ، ولا موقف انزال وحياد ، وانما وقفوا
معهم موقف اتباع وتمسك ، فهم تبع للثقلين وانصار للخلفيتين ، فلا يكون
الاقتداء بهم انحيازاً الى ثقل ثالث غير الكتاب والعتره .

واين هذا من الاقتداء بجميع الاصحاب وان كان
المقتدى به من اهل الفاق والارتياب أو الكذب والحيانة ،
فمن هنا يتضح لك انه لا يمكن الاخذ بعموم هذا الحديث الكثيرة
من خرج عن عمومه .

ولو تسالنا على صحة هذا الحديث واردا ان نأخذ بعمومه
فهل يريد النبي (ص) به أن يجعل من الصحابة ثقلاً ثالثاً في
قبال الكتاب والعتره وكيف ينصب للامة اعلاماً تتضارب ،
وأئمة تتحارب ، وكل واحد منها يحارب الآخر خدمة للدين
ونصرة للحق ، بل انما يريد ان يجعل من الصحابة قدوة صالحة
للناس لانهم المثل الاعلى في الاخلاق والفضيلة ، ونحن لانرتاب
بوجود من يصلح منهم لتلك المسكاة السامية ، ولكنها في الصالح

لا الطالح ، وفي المؤمن لا المنافق ، وقد نصب لنا رسول الله صلى الله عليه وآله اماما لا يشك كل مسلم بصلاحه وهداه ، هو الكتاب والعترة ، وهما المحك للتمييز بين الاصحاب ، فمن سار على نهجها القويم ، واخذ عنهما العلم والتعاليم ، فذلك القدوة المتبع دون سواء ممن اختلف معها او خالفها .

وجملة القول ان الحديث الاول يجمل الثقلين خليفته بعده ويجمل التمسك بهما وسيلة الهداية ، ومنه نعلم ان الاصحاب ان درجوا على سنن الثقلين فهم اهل للتابع والافتداء لانهم ثقل ثالث ، بل لانهم تمسكوا بالثقلين امثالا لا غير الرسول الناصح الامين (ص) . واما ان خالفوا سيرهما ، واتبعوا غير نهجهما فلا سبيل الى اتباعهم ومجانبة الثقلين ، اذ ليس لنا برهان على الافتداء بكل صحابي على أي حال وان خالف الكتاب وأهل البيت ولا يمكن الاخذ بعموم حديث الاصحاب - وإن صح - اذا كان يرجع بنا القهقري عن اتباع خطى الكتاب والعترة ، بل لابد لنا من طرحه لخالفته لما انعقد اجماع اهل الاسلام على هدايته - وهو الكتاب والعترة ، او حمله على الصحابة الابرار الذين جعلوا الثقلين لهم قدوة واماما .

ويجوز - إن صح الحديث - أن يراد من الاصحاب
أهل البيت خاصة ، لأن أهل البيت من الاصحاب ، وليس
الاصحاب كلهم من أهل البيت ، وليس في هذه الاستهانة بأحد
بعد أن كان الأخذ بعموم هذا الحديث مستحيلا لا يمكن المصير
إليه ، وحمل هذا الحديث - إن صح - على بررة الصحابة أو على
أهل البيت أجمل من طرحه والقائه .

فلا بدع اذن لوقلنا : أنه ليس هناك غير الثقلين قدوة
ومتبع ، وكل من على وجه البسيطة يجب عليه التمسك بهما
والاقتداء بهديهما ، ولا فرق في ذلك بين الاصحاب وغيرهم
من معتنقي دين الاسلام .

ألا وانزعما لن يفترفا حتى يردا علي الموصه

إن رسالة خاتم الانبياء عليه و على آله السلام باقية مدى
الزمن ، مستديمة عمر الدنيا ، فكتابه الكريم لا محالة باق ببقاء الدهر
وبقاء البشر ، لا تبلى جدته تطاول السنين ، ولا ينسخه كتاب
لانه معجزة رسالته الخالدة ، وحجته على العالم كله ، ومن أين
نعرف صدق نبوته اليوم لولا الكتاب .

ولما كان الكتاب صامتا ، و كان أساس الشريعة الباقية
وتبينا لنا لكل شيء وفيه ما يحتاج الى التأويل والابانة ، وجب أن
يكون له قرين يصحبه طيلة بقائه ليكون ناطقا بتأويله ، كاشفا
عن غوامضه ، فاصلا بين المتشابه والمختلف من آياته ، مميزا بين
الناسخ والمنسوخ ، والخاص والعام ، وماسوى ذلك مما لا يستغني
عن التأويل الناطق .

وهل ياترى يصح في ذلك المفسر أن يتأول برأيه دون
أن يكون عالما بالتنزيل كما نزل به جبرئيل ، أو يكون عالما

ببعض وجاهلا ببعض ، فلا بد اذن من أن يكون عالما بجميع
تأويله على حسب تنزيله ، ائلا يتورط في الملكة اذا تأول بشيء
يخالف نزوله .

وهل يأتري يجوز فيه أن يسهو وينسى ويخطئ ويزل ؛
فيقع وبوقع الناس في التحريف والتصحيح ومخالفة التنزيل ،
فاذن لامندوحة من أن يكون ذلك المؤول العالم بجميع التنزيل
معصوما من هذه العوارض التي لا يسلم منها عامة البشر .

فبقاء الرسالة الاحمدية قاض ببقاء كتابه ، وخلود الكتاب كفيل
بوجود قرينه واستدامة وجوده ، ذلك الوجود المقترن بهاتيك الصفات
التي تكشف عن ملكته القدسية ، والتي تجمل منه انسانا كاملا
بريئا من النقص ، كما هو شأن قرينه ببقاء الثقلين الى يوم القيامة
لا محيد عنه مادامت رسالة المصطفى (ص) باقية ومادامت رحمة
للعالمين ومادام زمان ، وما بقي انسان ، وان لم يصرح الرسول
(ص) نفسه بهذا البقاء والخلود ، فكيف وهو يهتف بذلك
مصرحاً به دون ما تورية او كناية

وما أشرنا اليه يجب ان يعرفه كل أحد من دون غور
وتعمق في الفكر ، فهذا ابن حجر في الصواعق يقول بعد الآية

الرابعة مما نزل في فضل أهل البيت : إن الحث وقع على التمسك
بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت ، ويستفاد من
مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة .

هذا ما قاله ابن حجر ، وما يجب ان يقوله غيره بدلالة
هذا الحديث الشريف ، وحكم العقل السليم ، ولا نريد ان
نسئط غيره من الاحاديث وان عاضدت هذا الحديث في مفاده
لان الهدف من هذا البيان بيان ما يقيد هذا الحديث دون سواه
وهذه المقارنة بين الثقيلين ودوامهما على هذه المقارنة الى
قيام الساعة ينبهنا الى امور جليلة ، نشير اليها في العناوين الآتية :-

مه هم اهل البيت الباقر الى الخمر

دليا صدر هذا الحديث الشريف - كما سبق بيانه - على
أن المقصود من أهل البيت على - هـ صاحب الرسالة هو المرتضى
والسبطان خاصة ، ولكن قوله (ص) وانها لن يفترقا حتى
يردا على الحوض دل على ان العترة باقية ما بقي الدهر وبقيت
رسالته وبقي كتابه ، فمن يا ترى المعني من العترة .

ان الهاشميين بعد السبطين كثيرون ، ولا سيما من كان
من ذريتهما ، فهل اراد الرسول (ص) باهل البيت جميع بني
هاشم ، أو خصوص العلويين ، أو نئة من العلويين خاصة .

إن كثيراً من الهاشميين والعلويين محتاجون الى التعميم
والارشاد ، وكيف يكون المحتاج الى هذا قرينا للقرآن الذي
اشتمل على تبیان كل شيء ، القرآن الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ، القرآن الباقي معجزة مدى الأبد فقرين
القرآن لا بد أن يكون على شاكلته وناطقاً بما حواه من بيان

فاذن لابد من أن يكون التبشير النذير عن نعمة خاصة من أهله ،
 عندهم علم الكتاب ، وهدى الامة ، لاسيما وقد جاء على بعض الروايات
 في ذيل هذا الحديث قوله : ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، وانت
 ترى أن بني هاشم كالناس من البدء حتى الساعة في احتياجهم الى
 التعليم والهداية ، وليسوا بأعلم من الناس في علم الكتاب ولا في سواه
 فإذا كان الرسول (ص) يقصد من أهل البيت رهطاً خاصاً ، فهل
 قصد أناساً تجهل الامة أعيانهم ، ولا تهتدي اليهم بأشخاصهم ، أترى
 ان الله والرسول يكافان الامة شططاً ، ويحملانها على معرفة من
 لا تهتدي اليه ، من أين للامة الوصول الى مجهول الاسم والسمة ، مجهول
 المكان والجهة ، لأن بني هاشم انتشروا في الارض فلا يخلو منهم قطر
 ومصر ، ولا صقع وناحية

فلا بد أن يكون الرسول أراد رهطاً من قومه معروفة أسماؤهم
 وسماتهم معلومة أوطانهم وجهاتهم لا ينكرهم الناس بعد التعريف
 ولا يخفى حالهم بعد الاشارة والتوصيف

فمن هو المتقصد بتلك الصفات ، والمعروفة حاله عند
 الناس ، غير اتسمة من أولاد الحسين ، الائمة المروفين من علي

ابن الحسين الى المهدي ابن الحسن العسكري الغائب المنتظر
عليهم السلام جميعا .

إن هؤلاء التسعة بعد المرتضى والحسين ينحصر فيهم
القصد من أهل البيت انحصاراً وجدانياً ، وحكماً عقلياً ، كما كان
في آبائهم ، وذلك لان الرسول اما أشار الى فئة موجودة
متسلسلة يدفعها الواحد منهم الى الآخر لئلا يخلو عصر من
الثقل الثاني ، وتلك الفئة عالمة بالكتاب لئلا يخلو عصره من قرين
له منهم عالم به ، ولئلا يخلو الامة يوماً ما من هاد لا يضل من
تمسك به ، معصومة من الخطأ والزلل ، نزيهة عن النقص والعيب
بريئة من الاهواء الضالة ، لئلا يحصل من اقوالهم واعمالهم
فساد ، وقد أرادهم الله للاصلاح ، وليس في بني هاشم رهط اشتملوا
على هذه الصفات غير هؤلاء التسعة .

وهؤلاء هم الذين صرحت الاحاديث عن الرسول (ص)
باسمائهم وسماتهم ، ولو غنى الرسول باهل البيت أحداً غيرهم
لبان اثره ، وانتشر خبره ، وظهر امره ، ولو جب على الرسول
النص عليه والاعلام به ، وما ادعى النص عليه بالاسم والصفة غيرهم
من العلويين ولو ادى ذلك الى قيام احد من الهاشميين سواهم فلا

تقوم له الحجة ، ولا يجب التصديق بدعواه ، من دون أن
 يأتي عليه نص ، أو يكون لعلمه ظهور ، ولفضائله ميزة ، وهل
 شاهدت الأمة أعيرهم من الهاشميين من بعد الحسنين إلى اليوم
 سلسلة كان لها من الفضائل والمعارف والعلوم ما كان لهم ، وهل
 كان أعيرهم من الآثار في التفسير والعلم والأخلاق ما ماثل آثارهم
 فلا ريب إذن بعد أمعان الفكر والروية في أن هذا الحديث
 الشريف لا يريد غير الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ، وهم
 الذين دلت الأخبار والآثار على ما لهم من علم وفضل ومعرفة
 وصلاح لا يدانيهم فيها بشر بعد الرسول (ص) وهم الذين ورثوا
 العلم والفضيلة عن الرسول عن الوحي عن الفيض الأعلى ، وهم الذين
 بقيت سلسلتهم محفوظة بوجود المهدي المنتظر ، وهم الذين يصدق
 عليهم إلى اليوم أنهم العترة قرناء الكتاب ، وإن الثقلين بوجود
 غائبهم ما زالوا باقين

هذا ما اهتمت إليه من معنى الحديث أمليه عليك ،
 واحسب أنه جلي لأخبار عليه .

المهدي الغائب من أهل البيت

افصح هذا الحديث بان في كل عصر عالما بالكتاب من
اهل البيت حسبما نزل به الروح الامين من رب العالمين ، وصدع
به رسول الرحمة والمهدي ، فمن هو عالمهم اليوم بالكتاب .
لا بد أن يكون ذلك العالم المنصوب للأويل الصحيح
معلوم الاسم والنسب والنعت ، لانه مرجع العالم كله في تفسير
الكتاب وهدى الامة ، وكيف ينصب الرسول الناصح لامته
لما لهم في الهداية وتأويل الكتاب ، ويخفي عليهم شمائله وحليته ،
وكيف يفرضه الله تعالى حجة عليهم ويسألهم الرسول (ص) عن
معرفة والتمسك به ، ولم يجعل اماراة على تعيينه ، ودلالة على تشخيصه
ان الله لا يكلف نفسا غير ما وسعت ، ولا يسأل الرسول الامة عما لا
يعلمون وعما لا يقدر ان يعلموه عادة ، فاذا جاز أن يكلف الله العباد
تصديق نبي مجهول في ذاته وصفاته جاز أن يكلفهم معرفة امام هادي مجهول
الخصال والذات . ولا يكفي أن يكون ذلك العالم معلوما فحسب ، بل لا بد

أن يكون أيضاً حياً موجوداً ، لان الناس في كل عصر تحتاج الى
المرجع في التأويل والموئل في الهداية لتستعلم منه حاجتها ويحل ما
اشكل عليها ، لان الحوادث المشككة المحتاجة الى الحل وازاحة
الشبهة تتجدد في كل زمان ، كما تحتاج في كل وقت الى المرشد
الهادي ولورجعت الناس الى العالم المنصوب للتأويل والهدى لهما
على المحجة البيضاء والصراط السوي ، ولم يتركها تحيد عن
الشريعة الناطق بها الكتاب والسنة قيد أنملة

ولا يغني الرجوع الى الميت في كل شيء من التأويل اذ
قد يأتي في الحوادث من الشبه ما لم يسبق لها ذكر أو نظير ومن
الاحكام ما لم يشر اليه الأئمة السابقون ، ومن شبه الامم المخالفة
ما لا حل له من الماضين ، فمن يكون المرجع في ذلك وفي هدى
الناس ان زاعت اذا لم يكن الخلف حياً .

ولو اغنى الماضون من الهداة لامننى ذلك في الانبياء ،
أو اغنى منهم أهل الشرائع خاصة ، ولماذا بلغوا مائة واربعه
وعشرين ألفاً ، ولماذا فرض الرسول اماماً لكل زمان وأوجب
على الامة معرفته فقال (ص) من مات ولم يعرف امام زمانه مات
ميتة جاهلية ، ففهمنا من هذا الحديث ان لكل زمان اماماً

كما فهمنا ذلك من الكتاب الكريم حيث قال : يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ، لان الخطاب لم يكن لقوم بخصوصهم فاذا عم أهل الاسلام كافة ، وانباء الاجيال عامة ، عرفنا ان لكل زمان والياسألنا الله عن طاعته كما يسألنا عن طاعة نفسه تعالى وطاعة رسوله (ص) ، فكيف ترى شأن اولئك من الهدى والرشد والصلاح عند ما قرن طاعتهم بطاعته وطاعة الرسول (ص)

فاذا وجب ان يكون المؤول الهادي وقرين الكتاب من العترة حياً موجوداً في هذا العصر ، ومعلوماً لدى الامة كافة في ذاته وصفاته فمن هو اذا لم يكن ابن الحسن العسكري ، فانه لا يوجد اليوم منهم أحد معلوم الذات والصفات ، يحمل تلك المملكة القدسية وذلك العلم الالهي الجم ويستطيع أن يقود الامة الى الهدى ويحملها على اتباع الكتاب وتأويله كما جاء به الرسول « ص » فاذا لم يكن ذلك ابن الحسن عليه السلام فقد خلت الارض اليوم من الثقل الثاني ، وخلوها منه مستحيل عقلاً ونقلاً .

فهذا الحديث يرغمنا على الاعتقاد بوجود عالم منهم بالكتاب يجب على الامة معرفته للتمسك به والالتقياد لاوامره

ونواحيه ، فاذا لم يكن ظاهراً مشهوراً ، افلا بد ان يكون غائباً
مستوراً ، نعم يجب ان يكون معلوم الاسم والنسب والصفة ،
وليس اليوم فيهم احد كذلك غيره فاذا لم يكن أحد في العترة
سواه على تلك النعوت فلا مندوحة من القول بان المهدي مولود
موجود ، وانه هو امام الامة وعالمها ، وأحد العترة التي يجب
التمسك بها ، والجامع لصفات السكال كلها في هذا العصر ، المنزه
عن خصال النقص جميعها ، المعبر عنه بالانسان الكامل .

ولو كان غير مولود ، او موجوداً غير معلوم لكان الحديث
متخلفاً عن اعلامه ببقاء العترة الى يوم الساعة ، العترة العلمية
بالقرآن ، الهادية للامة الى انتهاء الزمان المعروفة اسماءاً
وصفات .

ولو ادعى أحد من الهاشميين سواه ذلك العلم وتلك
الخلافة للذين دل عليهما هذا الحديث الشريف لوجب علينا أن
ننظر في صحة تلك الدعوى ، ونختبره في علمه ، ونمتحنه في
مقدرته من اقامة الحجة و اظهار الكرامة ، ولكن العصر من
يوم وفاة الحسن العسكري الى اليوم خال من ذلك المدعي غير
الغائب المنتظر .

وان وجوده بنير خاصم لدعواه يقضي باستقامة وجوده ،
لانهومات لوجب ان تنقل تلك المنزلة الكبرى الى غيره ، ومن هو
ذلك الغير لو كان .

وجملة القول ان الحديث الشريف يرغنا على الاعتراف
بوجود الخليفة الثاني من العترة في هذا اليوم ، وليس أحد غير
ابن الحسن لهذا المقام يوصف فيعرف .

غير ان الذي يستنكره أو يستكبره قوم من شأن
ولادته من قبل وحياته الساعة امور واهمها امران .

الاول . انه كيف يعيش انسان هذا العمر الطويل ، فقد
ولد - ان كان مولودا - باتفاق ارباب الحديث وانفصائل
والتاريخ عام ٢٥٥ هـ ، فيكون عمره اليوم في عام (١٣٦٤)
١١٠٩ من الاعوام .

الثاني . ما فائدة امام وعالم نصبه الرسول (ص) لتفسير
الكتاب وتعليم الناس وهدايتهم وهو محجوب عنهم ، لا يستفيدون
من وجوده ، وكيف يحتج الله على الامة بامام لا يصلون اليه
فيأخذون عنه ويهتدون به .

إن الجواب عن هذه المباحث تستطردّها كتب الكلام

في مباحث الامامة ، بل اعدت لهذا الغرض كتب خاصة امثال
غيبة الشيخ الطوسي طاب ثراه ، وقد اجبنا عن ذلك في رسالتنا
- الشيعة والامامة - ونشير الآن ايضا الى الجواب لثلاث تلوهذه
الرسالة الوجيزة من هذه الفائدة الجميلة فنقول :

أما الجواب عن الاول فشاعدا عليه الكتاب الكريم ،
فأين أنت عن نوح عليه السلام فقد لبث في قومه بدعوهم المأبى إلا
خمسین سنة ، فكم لبث قبلها ، وكم لبث بعدها ، فإن المهدي
المنتظر حتى اليوم لم يبلغ عمر نوح ، وأين أنت عن ادريس
وعيسى عليهما السلام وحياتهما اليوم ، فقد رفعما اليه من دون
موت ، وكفى دليلا على بقاء الانسان العمر الاطول بقاء الخضر
عليه السلام وكان معاصرا لموسى عليه السلام ، واذا جاز الحكمة
ان يطيل الله تعالى أعمار أنبيائه عليهم السلام فلماذا لا يجوز ذلك
في أوصيائهم وخلفائهم ، وما اكثر الشواهد في التاريخ ممن
طال بهم العمر ، غير اننا استغنينا عنهم بمن لا ريب في استطالة
عمره وبقائه لان القرآن الكريم قد ذكره ، وهو قطعي الصدور .
وأما الجواب عن الثاني فنجيب بان نحمله الى الله تعالى ،
لان الايراد أشبه بان يكون عليه جل شأنه . فان لابن الحسن

عليهما السلام امثالا من الانبياء والرسل قتلتهما الناس من دون
 ان يعملوا بدعوتهم ، ويهتدوا بهداهم ، فلهذا بعثهم الله جل شأنه
 وما يجاب به عن امر الانبياء فهو جوابنا عن شأن الامام المحجوب
 فانك ان قلت انه ارسلهم لطفا بالعباد واقامة للحجة
 عليهم ، وكان التقصير في عدم الاستفادة بهم من الناس انفسهم
 فذاك جوابنا بعينه ، ونزيده ايضا .

وهو ان الواجب في النبوة والامامة امور ثلاثة ، أن
 يخلق الله تعالى لطفا بعباده رجلا له الكفاية والمقدرة على النهوض
 بعبد النبوة أو الامامة ، وان يقبل ذلك الرجل تلك المسؤولية
 العظمى ، وان يطيع الناس ذلك الرجل المبعوث أو المنصوب
 لذلك الشأن الخطير بعد اقامة المعجزة والبرهان .

فما كان من الله ومن الامام فقد وقع ، واما الناس فلم
 يكن منهم ما وجب ، شأنهم مع آبائهم ، بل قضوا عليهم قتلا وسما
 فوق الخلاف والعصيان ، وعندما قضى المعتمد العباسي على أبيه
 الحسن العسكري عليه السلام بالسهم عام ٢٦٠ هجرية فتش عنه
 الغرف والبيوت ليقتله فهرب منه وغاب وهو ابن خمس ، وقد
 وعد الله تعالى الناس على لسان نبيه صلى الله عليه وآله بأن يملأ به

الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ماتت ظلماً وجوراً ولا بد ان يظهره
للعباد برأ بوعده فانه لا يخلف الميعاد ، والله سبحانه اعلم بالوقت
الملائم ولو كان يومه الموعود فيه ظهوره هذا اليوم او أمس اظهر
فيه ، والله أمره بالغة

فالناس هم الذين فوتوا المنفعة من وجوده ظاهراً ، كما
فوت الاوائل المنفعة من الرسل والانبياء ، وعسى ان يكون
في وجوده مستورا فوائدها نجهلها اليوم ونعرفها غداً عند ظهوره
فليس البأس اذن في غيابه الا من الناس .

وان كان معاصروه هم المسيئين في تقبيحهم الا ان
استمرار الغيبة كان من اهل الازمنة اللاحقة ، وكيف يأمن من اهل
هذه العصور أن يحاربوه لو ظهر ، والناس امثال الناس والعصور
متشابهة وما لم يثق من الناصر كيف يظهر .

ومن يقدر أن يثبت أن أعوانه اليوم لو ظهر أكثر أو أقدر
من أعدائه حتى يقوى بهم على محاربة أعدائه والتغلب عليهم
واين أولياؤه من أعدائه عدداً وعدة ، فان من يعترف بولادته
وحياته اليوم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود ،
وكيف مثل هؤلاء يقهرون محاربيهم الا ان يشاء الله

فما دمنّا لا نعرف الوقت الموافق فلاحرى ان نسكت موكلين
الامر اليه ، تعالى ، منتظرين تعجيل الفرج به . عجل الله تعالى
فرجه وفرجنا به .

ومن أين نعرف ان الناس تلبي دعوته بدون حرب
وجهاد ، ولم لا أجابت آباءه من قبل ، والتاريخ - كما
يقولون - يمدد نفسه .

المهدي ينهي الدنيا والرجعة

جاء من طرق الفريقين عن النبي (ص) أن الأئمة من قريش ثم من بني هاشم ثم من ولد علي وفاطمة ، ثم انهم اثنا عشر ، ثم النص عليهم باسمائهم ، فيكون المهدي المنتظر آخرهم ، فاذا ظهر عجل الله فرجه كان بوفاته قيام الساعة لقوله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث : ان يفترقا حتى يردا علي الحوض واذا توفي و كانت الدنيا باقية فلا بد اذن من رجعة النبي (ص) والأئمة عليهم السلام كلهم أو بعضهم الى أن تنتهي الدنيا ، لان الامامة وعلم الكتاب اذا انحصرا بهؤلاء الاثني عشر ولم تنته الدنيا بموتهم فلا مناص لنا عن القول بالرجعة ، لاسيما والرجعة غير ممتنعة عقلا ولا نقلا ، بل هي جائزة عقلا صريحة نقلا ، فهي ممكنة في ذاتها جائزة عليه تعالى . والممكن اذا وجدت علته ان وجد لا محالة

فاذا جازت الرجعة عليه تعالى وقام عليها البرهان
العقلي والنقلي فاي بأمر بالذهاب اليها ، والقول بها ، ونحن إنما
نستضيء بنور العقل ، ونهتدي بمصباح الدليل ،
وان استبعاد بعضهم أو استنكارهم تهويس لا يقاوم الدليل ،
واعتقاد البعض بعدم الرجعة من دون برهان لا يكون
برهان العدم .



أهل البيت معصومون

عندما التحق رسول الله صلى الله عليه وآله بالرفيق الاعلى بعد ما اكمل الدين اصبح الناس شيعة ومذاهب في احكام الدين وللسائل أن يسأل : أكان ذلك لان الرسول لم يحسن التبليغ فلم يؤد وظيفته ، ام لان الناس لم يكن فيهم معصوم يأخذ عن النبي صلى الله عليه وآله أخذاً صحيحاً كما نزل عليه وصدع به من دون نقص او زيادة في السماع والاداء فيحمله الى الناس كما اراده الله سبحانه ، ام كان معصوم ولكن الناس انصرفوا عنه واعتمدوا على انفسهم ، ولئن سلموا من العمد فلا يسلمون من الخطأ والسهو والذسيان في السماع والتأدية .

ان الله عز شأنه انما بعث النبي لهـداية البشر واصـلاحهم وتوحيدهم في الدين والشرعة « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » والنبي معصوم فلا يخطئ ولا يني ولا يقصر في التبليغ ، فلا اختلاف

اذن بعده اما لصفههم عن المعصوم او لعدم وجود المعصوم .
 ان تلك الغاية النفيسة التي من اجلها بعث الله تعالى
 رسولنا والرسول من قبله تلزم بان يكون معصوم في كل عصر
 لحمل الناس على الهدى ، وكفهم عن الضلال وتأدية ما صدع به
 والا لم يقع الغرض المطلوب بتمامه من وحدة الاحكام والدين
 واجتماع الناس ، وهذا لطف والله جل لطفه لا يحبس لطفه
 ولا يمنع العباد هدايته « انا هديناه النجدين » ولا يحملهم على الخفاقة
 بعد اقامة الدليل لهم ثم يعاقبهم على ذلك الخلاف وهو مسبب
 عن حبسه اللطف ، فلا مناص من ان يكون الناس هم الذين
 اختاروا الضلالة بخلافة الخليفة المعصوم ، لأن ذلك الافتراق
 والشعب يستحيل ان يستند الى تقصير النبي صلى الله عليه وآله
 في التبليغ والله تعالى أكمل الدين واتم النعمة به (ص) قبل
 فراقه الدنيا ، او الى حبس الله لطفه عن العباد ، وهو اللطيف ،
 الرؤوف ، الهادي الى سواء السبيل .

فوجود الهادي المعصوم لا بد منه في كل عصر ليتم به
 اللطف ويحصل به الغرض المقصود من الوحدة ديننا واحكامنا
 واجتماعنا ولا تقوم الحجة على العباد بد الرسول إلا به ، وان

هذا الحديث الشريف يرشدنا الى ان ذلك المعصوم الواجب
 وجوده في كل زمن هو من اهل البيت ، وذلك لان الكتاب
 العظيم « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » لا يجوز
 عليه الغش والكذب والاضلال والخيانة في هدى البشر
 وارشادهم الى الحق ، وان اهل البيت بحكم هذا الحديث عديل
 القرآن وقرينه والهاء به ، فلو جازت عليهم هاتيك الرذائل من
 الغش والاضلال والكذب واضرابها لاختلغوا مع الكتاب
 وخالفوه ففارقوه ، وهذا لا يكون منهم ابداً لانهم الملائمون
 للكتاب حتى قيام الساعة ، كما ينبئك عنه قوله : انهما لن يفترقا
 حتى يردا علي الحوض فما داموا والكتاب معا سلم الرشد ومنار
 الهدى كانوا بريئين عن مثل الاضلال والاغواء والكذب
 عمدا وسهوا كما كان قرينهم الكتاب ، واذا كان ذلك غير جائز
 عليهم كانوا معصومين لامحالة شأن الكتاب الكريم ، والعصمة ملائكة
 تمنع الانسان من ارتكاب الجرائم واقتواف المآثم ، وتحوطه عن
 غشيان الرذائل والنقائص عمدا وخطأ وسهوا وغفلة ونسياناً
 وهذا هو الحد الفاصل بينها وبين العدالة ، لان العدالة انما

تمنع عن اتيان الفحشاء والمنكر عمدا ولا تمنع عنها سهوا ونسيانا
وخطأ وغفلة .

وإن إخبار الحديث عن استقامة أهل البيت على الهداية
إلى الحشر دليل على وجود تلك العصمة في قرين الكتاب منهم
في كل عهد

فالحديث كما يرشد إلى عصمة الكتاب يرشد إلى عصمة
رجالهم وعلمائهم وأصحابه وقرنائه ، بمفاد واحد ومدلول ثابت فيها
معاً ، ولو أن أهل البيت لا يتفقون مع الكتاب في العصمة ، وغير
مأمونين من السهو والنسيان والغفلة والعصيان ، لجاز أن ينطقوا
ولو أحياناً بتأويل يخالف الحقيقة ويماين الحق ، وأين هذا من
عدم الضلالة أبداً بالتمسك بهم ، وأين هو من اتفاقهم مع القرآن
حتى آخر لحظة من الزمان .

فلو لم يكن لدينا دليل على عصمة أهل البيت غير هذا
الحديث لكفى به شاهد أو دليلاً

علمهم لدني

العلم اللدني ما كان من علام الغيوب سبحانه على نحو الالهام
او الوحي ، فيحصل للنفس من لدن النفس لا من خارجها بتعلم
واكتساب وجد واجتهاد ، وهذا الحديث يدلنا على ان علمهم
بالهام من لدنه تعالى ، ونستفيد ذلك من وجوه

١ — أن الرسول (ص) كان يستقي علمه منه تعالى
بالوحي وقد ترك اهل بيته خلفاءه على الامة كما هداانا الى ذلك
هذا الحديث ، والخليفة المنصوب يجب ان يكون مثالا لمن خلفه
للهداية والاصلاح ، وحاكيا لخصاله وفعاله لاسيما والتحلف حكيم
وبصير مأربه في التخليف صلاح الامة ، وانما اشار الى الخليفة
بأمر من فاطر الخليقة ، العالم بضمائرهم وسرائرهم ، فلا بد أن
يكون علمه من نوع علم النبي لدنيا . وإذ دلّ الدليل على أن
الوحي منحصر بالنبي فلا بد أن يكون الهاميا

ولو كان أهل البيت على غير شاكلة الرسول «ص» في العلم والعرفان ، والشاثل والفضائل ، لما صلحوا ان يخلفوه وينوبوا عنه في تعليم الامة ، وتفسير الكتاب ، وسياسة الناس على ما يفرضه الدين والقرآن ، ولما كان التمسك بهم سبيل الرشاد والهدى ، والتخلف عنهم مدعاة للهوي والهلكة

٢ - أن القرآن نزل منه جل وعز وفيه من الآي ما يحتاج الى تأويل وكشف ، فوجب أن يكون علم تأويله مستمداً منه تعالى ، لان علم الناس يجمع بين الصواب والخطأ ، ولو كان صواباً كله لكان واحداً لا اختلاف فيه ، وما اكثر الاختلاف فيه كما تنظر وتري ، وما ذاك الا لما فيه من شطط وغلط ، فمن اخذ عن الناس العلم اخذ الصواب والخطأ ، فاذا وجب أن يكون علم الكتاب كله صواباً وجب أن يكون من الله تعالى خاصة ، من دون أن يكون منه ومن الناس ، ولا من الناس دونه ، وحين قرئهم الرسول (ص) بالكتاب علمنا أنهم العلماء الذين استمدوا عنهم الغمر من العالم تعالى منزل ذلك الكتاب

— اذا كان علم أهل البيت يتعلم من الناس كان الذي يعلمهم أجدر بخلافة الرسول وعلم الكتاب منهم

وكيف يرشد النبي (ص) الى أهل بيته في علم القرآن
ومقارنتهم له وفي الأمة من هو أعلم منهم به وأهدى الى الصواب
وعندما أشار (ص) الى أهل بيته خاصة دون الناس عرفنا
أنهم أعلم الناس بالكتاب ؛ فاذا كان علمهم صواباً أبداً
وفوق مستوى علم الناس لزم أن يكون مستقاه من عالم فوق
الناس ، ومن ثم جاء في بعض طرق الحديث : ولا تعلموهم فانهم
أعلم منكم

٤ — أن حصر الخلافة فيهم وفي الكتاب أنبأنا عن
وحدتهما وانحصار علمه الصادق فيهم ، وهذا يدلنا على أن
علمهم من يوم وفاة الرسول (ص) الى يوم الساعة واحد ،
لا يعتبره تغيير ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان . وهل يستقيم
علم في بيت واحد عمر الدنيا ، على اختلاف شعبه وفنونه ، وهو
يسير على شاكلة واحدة ، لا يختلف نقصاً وزيادة ، وتبايناً
ومعارضة ، وذلك العلم مكتسب من الناس ، وهل شاهدت
علماء توارثوا العلم وتناقلوه هذا العصر الاطول على اختلاف
شعبه وفنونه ، من دون أن تحدث بين أوقاته فرجة خالية من
عالم و كان ذلك العلم اكتمل به ، وحصلوه بمجد ، وكيف

لا يحصل هذا العمر في سلسلتهم جاهل ، وكيف لا يختلف مراتبهم في مقدار ما يعلمون ، وعلمهم من الصدور والسطور فلا بد من أن نعتقد بان هذا العلم الساري على نهج واحد مستند الى علام الغيوب تعالى من دون أن يتوسط في تعليمه الناس ، لان مثله لا يكون في علم الناس ابداً

٥ - كيف اعتمد الرسول « ص » على علم أهل بيته بالقرآن طول الابد ، وأمن أن لا يكون فيه خطأ واغواء ، وشك وكذب ، وتخلف عما في الكتاب الجامع لبيان كل شيء ، وما علمهم إلا من الناس وعن الناس أفصح أن يخبر النبي الصادق « ص » عن استدامة العلم والعلماء في أهل بيته مدى الزمن على مثال واحد ، وان علمهم صواب لا خطأ فيه ، وهدى من غير تضليل ، ونصح من دون غش ، وصدق بلا كذب ، واوائك العلماء من سائر البشر لا ميزة لهم على الناس وعلمهم مأخوذ من الناس إن مثل هؤلاء العلماء لا يكونون كالناس أبداً ، ولا علمهم عن الناس بتاتاً بل ان العقل والوجدان والعادة أدلة على أن مثل هؤلاء فوق مستوى البشر الذي يقيم عليه البصر ، وان مثل هذا العلم الذي عندهم لا يكون إلا مستمداً من الفيض الاعلى ،

وان مثل هؤلاء العلماء لا تأتي بهم الظروف والأيام صدقة بل هم
معنيون بالخلقة ومنح ذلك العلم ، منصوص عليهم منه عز شأنه
بواسطة رسوله الامين صلى الله عليه وآله

هـ هذا بعض ما دلنا عليه هذا الحديث الكريم من علمهم
من لدنه سبحانه لا يرتشفون فراته من مياه الناس الآجنة ، وأين
العلم المستقي من ينبوعه الفياض من العلم المستقي من ينابيع
الناس

علماء بكل شيء

يفهمنا هذا الحديث الشريف ان اهل البيت علماء
بجميع ما في الكتاب لانهم قرأوه في الهدى ، فلو سئلوا
عن حرف من الكتاب العزيز ولم يكن علمه عندهم لخرجوا
عن مقارنته في الهداية وتخلفوا عن معادلته في الخلافة عن الرسول
صلى الله عليه وآله بل يحملون الناس على الرية والمروق بسبب
الجهل بالكتاب عند السؤال عنه واين هذا من اخبار النبي (ص)
بانهم منار الهدى عمر الدهر ، فلا بد اذن من أن يكون علم
الكتاب جميعه عندهم .

فاذا كانوا - بدلالة هذا الحديث - علماء بجميع ما في القرآن
الحكيم كانوا علماء بكل شيء ، لان الله جل ذكره يقول في محكم
كتابه : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ويقول : ونزلنا عليك
الكتاب تبينا لكل شيء .

نعم اننا نجعل هاتيك الجامعة الكبرى للكتاب، ونجعل
كيفية علمهم به، وهذا الجهل بتلك الجامعة وتلك الكيفية لا يدعو
الى الشك فيها

إن من الجهل ان ننكر صحة ما نجعل ، فنكون مصداقا
لقولهم : المرء عدو ما جهل ، ومن عدائه لما يجهل نكرانه له
إن القصور عن ادراك المنازل السامية في العلم والعرفان
لا يقضي بانكارها ، بل يجب التسليم بها مادام الدليل قائما عليها
عقلا و كتابا وسنة ، ومادام الوعاء صالحا لان يحزن ذلك العلم
ومادام الناس في حاجة لامثال هؤلاء العلماء . نعلم يقينا من الآيات
والروايات والآثار بأن مراتب اهل البيت في العلم والمعرفة والفضيلة
سامية جدا ، لا يدانيهم فيها الناس ، ولا يقترب بهم فيها أحد ، لأن
ما جاء في نعت علومهم مثل قوله تعالى : ومن عنده علم الكتاب
وقوله « ص » : انا مدينة العلم وعلي بابها ، وقوله « ص » :
ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ، ومثل قول المرتضى عليه السلام :
سلوني قبل أن تفقدوني ، وقوله : علمني رسول الله (ص) الف
باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب ، وقوله وقد وضع
يديه على صدره : هذا سبط العلم هذا لعاب رسول الله « ص »

وقوله وقد اشار الى صدره ان هاهنا علماً جماً لو اصبحت له
حملة ، وما ضارع هذا مما يكثر تعداده يعلمنا بان علمهم الغمر مستمد
من الفيض الاعلى ، فانظر هل لهذا البحر ساحل ، فاذا كان علمهم
بهاتيك الصفة فهل يوجد عند الناس حتى يتعلموه منهم

على انك لو استقصيت بعض آثارهم - ان كنت جاهلاً
بها - لو جئت انهم مثال لهذا العلم فانهم ما سئلوا عن شيء إلا
وجد السائل علم ما سأل عنه عندهم ، ولا ابتدأوا بالبيان عن
أمر إلا أظهروا للناس ما لا يحتسبون وما لا يجدون علمه عند
غيرهم ، فهذه الآثار وتلك الأخبار لا تدع مجالاً للشك في انهم
حقاً علماء بكل شيء حتى وان لم تصرح تلك الآثار
والاخبار بسعة ذلك العلم ، فكيف وفي هذا الحديث الشريف
دلالة وابانة على تلك السعة مشفوعاً بتلك الاحاديث والآي
الصريحة .

وقد ساقني التوفيق قبل سنين فكتبت رسالة عن علم الامام
ولعل فيها ما يرفع الشك ويزيح الستار ، ويريك ان علمهم
فوق مستوى علم البشر ، وليس بدعا ان تكون لهم تلك السعة
من العلم لان الناس في حاجة شديدة الى مثل هذا العلم والعلماء ، وكيف

تستغني عن عالم معصوم عن الخطأ والغفلة والسهو والنسيان ترجع اليه
في تصحيح ما لديها من خطأ وشك وارتياح وما شابه
هذا ، وهل في الامة سواهم من نصبه الرسول علماً للرجوع في
الارشاد والتعليم .

اغنياء عن علم الناس

اذا كان علم أهل البيت مستمداً من علم العلام تعالى
بواسطة الرسول الامين « ع » وكانوا - كما يخبرنا عنهم هذا
الحديث - علماء بكل شيء ، فانهم لا محالة اغنياء عن علم الناس
لان الناس اخذوا عن الناس ، وعلى قدر ما بين المصدرين من
الفضل يكون التفاوت بين العالمين ، وكيف يحتاج العالم بكل شيء
الى علم مشاب صوابه بالخطأ ، ومتمزج صحيحه بالسقم ، وكفى
برهاناً على هذا الشأن ما جاء في بعض طرق الحديث من قوله (ص)
ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ، ولو كانوا محتاجين الى علم الناس
لما كانوا اعلم من جميع الناس بل لزم أن يكونوا من سائر
الناس في الفضيلة .

الناس محتاجون الى علمهم

اذا كان الكتاب المنير حاويا لعلم كل شيء ، وكان أهل البيت عليهم السلام العلماء بما حواه ، فلا محالة اذن من أن الناس كلهم من البدء الى المنتهى ما دام الكتاب وما دام أهل البيت محتاجون الى هذا العلم الذي عند أهل البيت

ولا فرق في تلك الحاجة الى علمهم بين العالم من الناس والجاهل . وبين هذا اليوم وبين اول يوم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لان خطاب النبي عام يشمل الامة اجمعها ولولم يكن شاهد على تلك الحاجة إلا ان علم الناس مزيج من الصواب والخطأ ، وان علمهم صواب محض ، ويقين بحت لكان فيه غنى عن الاستدلال بعموم الخطاب

ولولم يجرى في بعض طرق الحديث : ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم الدال على حاجة الناس اليهم طول الزمن لانهم اعلم الناس ، لكان من قوله ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدأ

دلالة صريحة بانهم اجمع الناس لصفات الهداية والكمال ومن تلك
الصفات العلم ، أتري أن الجاهل أهدي من العالم « أفن يهدي
إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهديّ إلا ان يهدي »
فكان لزاماً على المسلمة ان تأخذ عنهم دون احد سواهم
من الامة ، وتتبع هدايتهم دون غيرهم ممن زعم العلم والهداية ،
وكان حتماً على اولئك الذين تظاهروا بالزعامة او العلم وتصدروا
للحكم أو الافتاء ان ينقادوا ويقودوا الناس — ان اتبعوهم —
الى اهل البيت روّاد العلم وورّاده ومصاييح الهدى وأعلامه
دون ان يحولوا بين الناس وبين ذلك العلم الالهي والهدى
الابدي.

لا امام عليهم

قد يعنى بالامامة تلك الامامة السياسية التي تشفع عن الملك ،
واخرى تلك الامامة الالهية التي ان انعقدت في الارض كانت
بامر من رب السماء

لم تكن امامة انعقدت في الارض وكان مصدرها السماء
الا امامة أهل البيت . كما يراد أهل البيت ويراه ثلة من المسلمين
فيهم ، بعد ان أقاموا البرهان عقلا ونقلا على ذلك ، وأما
الامامة التي يعقدها الناس من دون علاقة لصاحب الشريعة
ولا بأمر من الله جل شأنه فليست مرموقة لأهل البيت ولا معنية
لهم ولا أنصارهم ، ولئن طالبوا بحقوقهم من الامامة ، او طالب لهم
شيعتهم ، فلا يقصدون من وراء ذلك ان يتربعوا على أرائك
الملك وانما يريدون ان يثيب الناس اليهم ليقيموا موازين العدل ،
وينصروا 'الحق والدين' ، كما هو شأن الامام عندهم
فان تكلمنا عن الامامة فلا نريد منها إلا التي فرضها

الرسول «ص» عن الله عزّ شأنه، وتلك الامامة الالهية المفروضة
ما ادعاها أحد سوى أهل البيت ، فمن ثمة تعرف انه لا امام
عليهم من الله سبحانه ، واما الامامة المعقودة من بعض الناس
فانما يفرضها الناس بعضهم على بعض ، وأين ما يفرضه الرسول
صلى الله عليه وآله عن الجليل تعالى مما يفرضه الناس أنفسهم ،
وما فرضه الناس لم ينزل فيه كتاب ولا وردت فيه سنة ولا ينفذ
هذا الفرض إلا القوة أو المال لا الكتاب أو السنة فلو لم تكن الامام
المفروض من الناس قوة تعضده أو مال يسنده لم تر الناس له امامة
ولاطاعة ؛ أفهذا شأن الامام المفترض الطاعة ؟ .

والحديث الشريف يجعل - كما أشرنا اليه بدءاً - امامة
وخلافة من الله تعالى فرضاً لا اختياراً للناس ولا تخيير لهم فيه ، فاذا
كانت امامتهم هي المفروضة من الله والرسول على الامة فكيف
يكون عليهم امام مفروض الطاعة ، ولو كان امام لوجب أن
يكون مفروضاً من الله سبحانه على الناس كلهم حتى على أهل البيت
فمن هو ذلك الامام وما دليله .

وأما الآية الكريمة القائلة : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فانها لا تأمر بطاعة يزيد

والوليد ممن أظهر الكفر فوق الفسق ، وكيف تفرض طاعة من
يجب على المؤمنين حربه وقتاله في الله ونصرة الدين ، نعم إنما
تريد الآية ان تفرض طاعة الأئمة الذين حبسوا أنفسهم على
مرضاته تعالى في الشريعة وفي الناس وفي أنفسهم ، واتقوه حق
تقاه .

إنما يحكم العقل والنقل بطاعة مثل هؤلاء ، راما من حبس
نفسه على الشهوات وخالف الله والرسول سرّاً وعلاً ، أو خالف
مرة واطاع مرة ، فلا يجوز عليه تعالى ان يفرض على العباد برهم
وفاجرهم طاعته ، وكيف يفرض طاعة من يجب اقامة الحدود عليه
من عدول اهل الايمان ، ويجب نهيه عن المنكر المقيم عليه ، وامره
بالمعروف والتارك له .

إن الله أعدل من أن يأمر بطاعة أرباب الكفر والعصيان
لأسيما اذا كانت الطاعة من اهل العدل والاحسان .
على اننا لو تأملنا في مدلول هذه الآية الكريمة لفهمنا
منها ان المقصود من اولى الامر قوم عصمهم الله من الزلل والخطأ
والذنب والعيب ولا بد أن يكون قد اعلم الناس عن حالهم ، لئلا
يبقى مفروض الطاعة مجهول الاسم والوصف .

بل لو تدبرت الآية الكريمة لعرفت ذلك نهجاً جلياً واضحاً غير خفي ولا غامض، وذلك لان الله سبحانه قد قرن طاعة اولئك بطاعته وطاعة رسوله، وجعل هذه الطاعة واحدة، ففعلنا انهم دون الرسول وفوق البشر في كل ما يستلزم الطاعة من شأن، ولو كانوا من سائر البشر أو دونهم في كل شأن لما قرنهم بطاعته وطاعة رسوله، أي صلح العصاة أن يكونوا في صف الله ورسوله في الطاعة.

بل ان لفظة اولى الامر نفسها تشهد بان الامر لهم ذاتي لانها وصف منزع من الذات ولو كانت كاللباس المستعار يلبس مرة وينزع أخرى، ان رأوا انهم أهل الامر أو رأهم بعض الناس اهلاله كانوا كذلك، وان غضب الناس عليهم وانزعوهم ذلك الوصف انتزعه الله منهم ونهى عن طاعتهم، لما كانوا اولياء الامر حقيقة ولا كان الوصف لهم ذاتاً.

أترى ان الله يتبع العباد فيما يرون ويرغبون فان رأوا طاعة احد رآها أو تقموا عليه وعزلوه عزها الله عنه الى من اختاروه أو اختار نفسه لها، فيا ليت شعري أهكذا تكون الطاعة المفروضة منه تعالى المقررة بطاعته وطاعة الرسول كرة بأيدي اللاعبين يوجهها حيثما شاءت الالهواء، وكيفما رغبت النفوس،

ولو جاز ذلك في الامام لجاز في النبي ، فلا نبي إلا ما اشتهدت
الناس نبوته .

كلا . اننا لو تجردنا عن النزعات لفهمنا من افضة اولى
الامر ههنا انها صفة خاصة بهم ، منحة لهم منه جل لطفه دون
الناس كلهم لباساً فصل على معارفهم لا يعار ولا يستعار ، ولا يلبسه
ولا ينزعه الهوى ، كريشة في مهب الريح ، كما كان كذلك
شأن النبوة ،

فالحديث الشريف عندما يفرض امامة اهل البيت والتمسك
بهم يفرضها على الامة جميعها ، الزعماء والسوقة والعلماء والجهلة
من حين وفاة الرسول « ص » الى قيام الساعة ، فمن أين تكون
امامة عليهم ، وما تفرضه الناس على انفسهم وعلى اهل البيت
لا يكون فرضاً من الله تعالى ، بل لا يمضي ذلك الفرض حتى على
اولئك الناس انفسهم الذين اوجبوا تلك الطاعة عليهم ، فان
الوجوب والحرمة ومتعلقاتها من الطاعة والمعصية لا يصار اليها
إلا بحكم من صاحب الشريعة ، لا بحكم من الناس حسب
الهوى والرغبة : ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال
وهذا حرام .

لا خليفة قبلهم

لا يراد من الخلافة إلا الامامة ، فالخلافة اذن قسمان مفروضة منه تعالى ومجعولة من الناس ، فما كانت منه عز شأنه فالحديث يجعلها للعترة خاصة على الناس اجمع ، وما كانت من الناس فلا نقصدها بالبحث ، فلا بدع لو نقول :

ان لا خلافة إلهية قبل خلافتهم ، ولا بعد خلافتهم حتى الحشر والنشر ، ولا مقارنة لخلافتهم .

ان الحديث الشريف يقول : إني تارك فيكم الثقلين ، فالثقلان هما الخليفةان من بعده ، ولو كان هناك خليفة من الله تعالى دونهما أو قبلهما أو معهما أو بعدهما لا خبر عنه الرسول (ص) كما أخبر عنها ، وآية اطيعوا الله قد أوضحنا البيان عنها ، على انها انما ألزمت بطاعة اولى الامر ، وليس فيها دلالة على أن اوائك الذين تسلقوا العروش من اولى الامر ، بل نحتاج في اثبات انهم من اولى الامر الى

دليل آخر ، فان ادلة الاحكام لا تثبت موضوعاتها إلا ان
ينص الدليل على موضوعه ، وليس في الآية دلالة على تشخيص
اولياء الامر ، وما كل من يزعم انه منهم يكون منهم .
فهذا الحديث يثبت لنا ان الخليفة للرسول هو الكتاب
والعتره ، وهو الشخص لاولى الامر المعنيين من الآية الشريفة ،
فكيف يكون بعدئذ عليهم خليفة لم يفرضه كتاب أو سنة
أو عقل .

واما حديث اصحابي كالنجوم فقد عرفت ان الاخذ
بعمومه يوقنا في هوة لانجاة منها ، فان النبي الناصح لامته أهدى
من ان يجعل من المناققين والخائنين قدوة لهم فحمله على البررة منهم
التمسكين بالثقلين او على خصوص الاصحاب من أهل البيت
اجدر ، ولو ساغ لنا ان نأخذ بعمومه فلا نفهم منه انه يجعل من
الاصحاب ثقلا يعارض الثقلين ، وخلافة تنافس خلافة أهل
البيت ، لان الرسول بعث رحمة فلا يجعل من الامة ائمة يقضى
تنافسها على الامامة بالبلاء والنقمة ، وكان من منافسة الصحابة
لاهل البيت على الخلافة مواقف دامية لا يجهلها الناس والتاريخ .

التمسك بهما معاً طريق الهدى

إن الحديث ينطق بان الهدى بالتمسك بالثقلين معاً
ومعنى ذلك ان التمسك بهما معاً مصطحبين ، والاخذ عنهما معاً
متفقين ، دون ان يكون بواحد منهما بانفراده دون قرينه .

والوجه في ذاك هو ان القرآن الكريم - كما سبق بيانه -
نزل على الرسول (ص) تبلياً لكل شيء ، ولم ينكشف للناس
ذلك الايضاح الجامع فاما ان يبقى الكثير منه غامض السر فلا
تحصل الفائدة الكبرى من تنزيله والغاية القصوى من اعجازه ،
وان كان بحمد الان عزيز النفوس ، لا يستطيع الانس والجن ان يأتوا
بمثله وان كان بعضهم لبعض ظهيرا ، او تنكشف للعالم اسرار
الجليلة وبهر الناس اعجازه اكثر مما يلمسونه اليوم عندما يقفون
على تلك الاسرار الغامضة .

ان الله عز شأنه لم ينزل القرآن ليخفي على الناس ماحواه

من سر ونفع ، وإنما أنزله أصلاً للبشر ودلالة على وجوده
ووحدايته ، وهذا الشأن يحتم بأن يكون له أهل يعلمون تلك
الخفايا منه ، ليكونوا أدلة على الوجود والتوحيد وهداة للعباد .
وما أولئك العلماء بالكتاب الأدلاء على ذاته وعبادته
إلا أهل البيت بعد رب البيت ، ولو لم يكن إلا هذا الحديث
دليلاً على تلك المنزلة القدسية للعترة لكفى به هادياً ودليلاً .

وان مما يرشدنا إلى حاجة التنزيل إلى التأويل - سر
أودعه الله فيه - هو اقتحام الأمة من البدء حتى اليوم للقيام
بهذه المهمة الكبرى ، وما زال يتجدد هذا القيام والاهتمام
في كل عصر وجيل ، وما زالوا قاصرين عن بلوغ سره الغامض
وفائدته القصوى ، وما زال غامض السر مع اجتهدهم في التأويل
وكما زعموا أنهم كشفوا جانباً من مخبئاته عاد كأنه طلسم لم يحل
واختلافهم في تأويله ، واعترافهم بعدم الوصول لأسراره
كلها يشعرون بأن له أهلاً لا يعدوهم ذلك التبيان الجامع ، فإن
الله أعدل من أن يترك الناس في تأويله كحاطب ليل وعشواء
في ظلماء ، دون أن يجعل لهم مصباحاً يستضيئون بنوره ، ودليلاً
يسيروا على هدايته ، وما كان ذلك الاختلاف فيه وعشوتهم عن

بلوغ سره العجيب الا لصفحهم عن ذلك المصباح الوضاء ،
والدليل الهاد ، وما ذلك الصفح يخرج به عن الاضاءة والدلالة .

ولو كان الناس على هدي في تأويله لاتفقت كلمتهم
واتحدت مذاهبهم فيه ، وليس الاختلاف من الكتاب نفسه ،
وكيف يكون فيه اختلاف وهو نازل منه جل شأنه ، ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً .

فاذا تجلّى لنا ان الكتاب لا يستغني ابدأ عن المفسر العالم
بنزوله وتأويله فكيف يمكن التمسك بالكتاب اخذاً بتعاليمه
واحكامه وعبره وسيره من دون ان نرجع الى ذلك العالم بالتأويل
وكيف نكون آخذين بما حواه ونحن على ذلك الجهل
والاختلاف فيه .

واما التمسك بالعترة دون الكتاب فضلال حتماً ، لان العترة
حملة علم الكتاب ، والحاملون على تعاليمه ونصائحه ، فكيف يؤخذ
باهل التأويل ويترك التنزيل

على ان التمسك بالعترة دون الكتاب لا يكون ابدأ لانهم
لا ينطقون الا عن وحيه ولا يدلون الا عليه ، فالاعتصام
بهم لا ينفك عن الاعتصام بالكتاب وبالنازل منه وبالنازل عليه .

فبان لنا بعد هذا البيان ان التمسك لا يكون بالكتاب دون
قرينه العترة ، ولا بالعترة دون مصدرها الكتاب ، وانما يكون بالاخذ
بها معا مقترنين ، وبهروتيها معا متتقين ، بل ماها الا عروة
واحدة لا يمكن التفكيك بين حلقها التماسكة .

غير ان العترة الاسان الناطق للكتاب الصامت ، فلا
تقدر ان نتمسك بالكتاب من دون طريقهم ، لان معرفة ما فيه
يكشف خفاياه ، والتمييز بين محكمه ومتشابهه ، وناسخه او منسوخه
وما سوى ذلك ، لا يكون صحيحا الا من بيانهم وايضاحهم .

العتره هادونه مهديونه

فاقد الشيء لا يعطيه ، فاذا كان التسك بالثقلين طريق
الهدى والحق كان الثقلان لامحالة هاديين مهديين ، ولا يجوز
عليهما الضلال كما لم يجوز الاضلال ابداً ، وهل يكون الضال هاديا
والجاهل معلما ، والعاقل عن الطريق دليلا .

إذن فما دام العتره مهديين وهداة ابداً كان الهدى
باتباعهم ، والرشد باخذ تعاليمهم ، كما ان الضلال بالانحراف عن
سبيلهم ، والهلاك في اجتناب وادبهم — ياعمار ان سلك الناس
كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي ، فانه
لا يضللك عن هدى ، ولا يذكلك على ردى — .

فلو وجدنا في الناس من عاداهم وقاومهم فعادوه وقاوموه
عرفنا ان الرشد معهم والضلال مع من خالفهم ، هذا علي ومعاوية
وعلي والجل ، وعلي والخوارج ، وذاك حسين ويزيد ، وهذان

زين العابدين والباقر وبنو امية ، وهؤلاء الصادق والائمة من بنيه
وبنو العباس ، وعلى هذا القياس في غيرهم ممن حارب اهل البيت
او عاداهم ، ونظر اليه اهل البيت نظر بغض وشنآن ، لا بد أن
يكون الهدى والحق والرشد مع علي وبنيه عترة المصطفى يدور
ذلك معهم حيثما داروا ، والزيف والضلال والباطل
مع اعدائهم ومحاربيهم تدور معهم حيثما داروا ، لان الهدى عند
ما كان بالتمسك بأهل البيت ، كان الضلال بالتمسك باعدائهم
إذ لا يجوز ان يكون في الامة امامان متعادين في الله وفي الدين
وعلى الدين وهما معا هاديان مهديان ، والتمسك بهما معا
طريق الهدى والصلاح .

فلاريب اذن في ان الهدى الف الصالح منهما ، والضلال
قرين الظالم منها ، إن الظالم لا تصح امامته عند الناس فكيف عند
الله ، لا ينال عهدي الظالمين .

ولكن يعظم في النفس ضلال طوائف من المسلمين ،
وشقاء رجال لهم سبق الى الاسلام ، وزيف اناس جروا على
سنتهم ، وما ذلك الضلال والشقاء والزيف إلا لانهم خالفوا أهل
البيت أو حاربوهم ، أو تركوا طرائقهم ومذاهبهم في الدين

وسلكوا منهاج أخرى لا ترضيهم .

غير ان الادلة تدفع ذلك الاستعظام ، فهذه آية الانقلاب
وذاك حديث الاقتراق ، وهذا حديث الحوض الذي يفتح
عن طردهم عنه حتى لا يبقى منهم الا مثل همل النعم وهناك حديث
لتركبن أمتي سنة بني اسرائيل ، الى كثير سواها ، وهاتيك الايات
والروايات اللواتي تجعل الهدى مع اهل البيت والملة بالتقدم
عليهم أو التخلف عنهم وان حربهم حرب الله وحرب رسوله
وسلمهم سلمها مما يخرجنا استطراده او ذكر مفاده عن الصد
ولو اردنا ان نصفح عن امثال هذه المواقف المؤسفة ونبقى نحن
واهل البيت دون ان ننظر الى اولئك المعادين لهم لا يقنا بان
التمسك باهل البيت سلم النجاة وان الله تعالى لا يسألنا عن غيرهم
ان جهلنا حال ذلك الغير .

الامة واهل البيت

إن عموم قوله فيكم وما ان تمسكنم يشمل جميع الامة ، من دون استثناء لاحد كما سبقت الاشارة اليه فالامة بأجمعها من بدء وفاة الرسول (ص) حتى اليوم مسئولة عن التمسك بهم وما التمسك المنجبي من الضلالة ابداً الا الاتباع لهم واطاعتهم ، وهل يأمرن الا بما فيه الهدى والصالح والسعادة ، او ينهون الا عما فيه الزيغ والفساد والسوء .

ولو لم يكن لدينا آية أو رواية تهدينا الى طاعة العترة والاعتصام بهم الا هذا الحديث لكان به غنى في الالتزام ، كيف والبراهين على ذلك لا ياتي عليها العدس .

ولكن هلم وانظر الى ما كان من الامة معهم من يوم وفاة النبي « ع » الى اليوم ، وياليت انهم كفوا أو اقتصوا بالعصيان وحده ، دون ان ينالوا منهم ما لم يخطر ببال ، حتى

تركوهم بين قتيل وسجين وطريد ومغيب ، فاين هم عن آيات التطهير
والمبادلة والتصدق وهل اتى غيرها ، واحاديث الباب والسفينة
وحر بهم حربي وغيرها مما يعسر استقصاؤه .

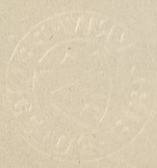
انا لا اريد أن أبحث عن هذا الشأن فان الناس لا تجهل
ما كان من الناس مع اهل البيت ، من البدء حتى الساعة ، واثن
تناسى الناس اليوم تلك الحوادث المؤلمة فالتاريخ خير مذكر ،
ولا اريد لفنك الى ما عليه اولئك المحاربون لاهل البيت من
الضلال والزيف ، فانه لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، وان كل
نفس بما كسبت رهينة ، ومن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها .
وانما اريد أن أوقفك على ما بوصلنا اليه هذا الحديث
الشريف من مكانة اهل البيت ، وما يجب علينا من الوقوف ،
إزاءهم ، فان كنت اصبت القصد فيما كتبت فهو اقصى الارب
وان اخطأ فهمني وقلبي الهدف فاست من ارباب العصمة ، فعلى
اخواني من اهل الايمان ان يأخذوا بيدي الى سواء السبيل ،
ومحمود الطريقة ، فان المؤمن دليل اخيه المؤمن ومرآته ، وما
قصدي مما حررته الا وجه الله سبحانه والقلوب بيده ، والسلام
على اخواني المؤمنين جميعا راجيا منه تعالى لهم ولي التوفيق والهداية

والحمد لله تعالى وصلاته وسلامه على النخبة المنتقاة محمد
والعترة الهداة بدءاً وختاماً.

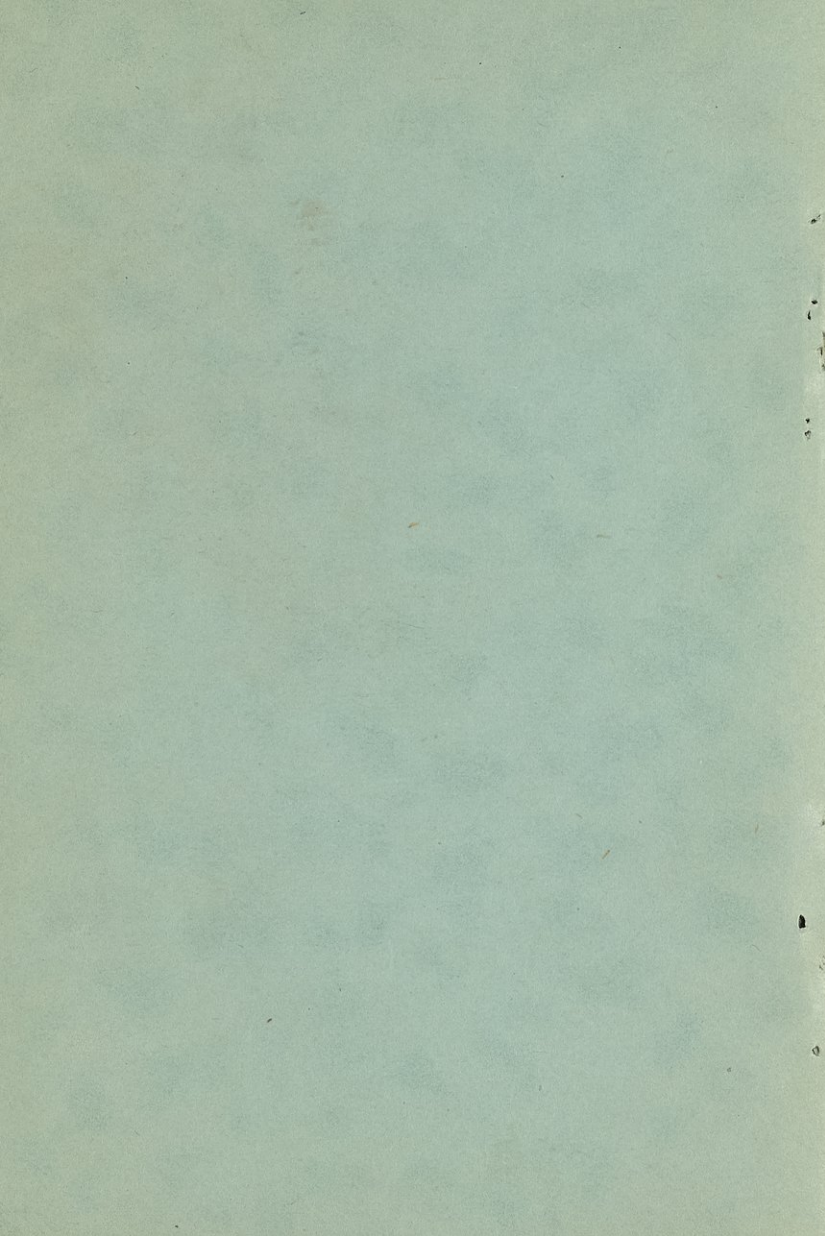
وقد فرغت من تسويد هذه الرسالة في العاشر من شوال
عام ١٣٦٤ هـ في مدينة النجف الاشرف ، والقيمتها في ثلاث
محاضرات في المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر الاغر ورجائي
منه تعالى ان يجعله ذريعة لنشر الممارف الدينية وجامعة الاخلاق
والفضيلة ، وان يأخذ بيد مؤسسيه وناصريه انه بجميع مجيب .

سَطر	صفحة	خطاً	صواب
٧	٧	سلاسة	سلاسة
٥	٣٤	سواهم	سواه
٤	٤٦	لرجيله	لرجليه
٨	٥٤	الافضع	الافظم
٧	٦٥	عصره	عصر
١	٧٠	مشهوراً	مشهوراً
١٤	٠٠	ى	في









LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072575515

AP